الباب الثاني

الشافعون للأمة يوم القيامة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : شفاعة الرسول ﷺ

الفصل الثاني : شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

الفصل الثالث: شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة

الفصل الأول

شفاعة الرسول ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : لمن الشفاعة:

المبحث الثاني: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ :

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة المتفق عليها في خصوصيتها .
- المطلب الثاني : الشفاعة المختلف فيْ-خصوصيتها .

المبحث الثالث: الشفاعة العامة :

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد في الخروج من النار.
- المطلب الثاني : الشفاعة للأهل والأقارب .

المبحث الأول

لمن الشفاعة ؟

لقد عرفنا فيما سبق الأدلة الواردة من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية ، والإجماع وأقوال العلماء في إثبات الشفاعة يوم القيامة وكذلك أركانها وأسبابها وأحكامها .

فمن خلال ذلك تبين أن الشفاعة تتنوع من حيث الشفعاء ، ومن حيث نوع الشفاعة ، فأحياناً يكون الشفيع نبياً محمد ﷺ ، وأحياناً يكون غيره ، من الأنبياء والشهداء والصالحين والملائكة المقربين ، والعمل الصالح .

ولكن قبل أن نبدأ في بيان ذلك مفصلاً لابد أن نقدم بين يدي القارئ مبحثاً مهماً جداً متعلق بعقيدة العبد المسلم ، وهو عبارة عن سؤال ، والجواب عنه توضيحاً وإكمالاً للفائدة فاما السؤال فهو : لمن الشفاعة ؟.

وأمَّ الإجابة على هذا فبقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر : ٤٤] .

فهذه الآية تثبت الشفاعة لله وحده ـ سبحانه وتعالى ـ فاختصاص الله ـ عز وجل ـ بالشفاعة اختصاص ملك ، ومعنى ذلك أنه ليس لإحدٍ من الخلق شفاعة إلا من أخبر الله أن له شفاعة مقيدة بقيود وشروط ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه ، مهما عظم جاهه عند الله ـ عز وجل ـ .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « فاخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه .. وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فإنه الذي أذن والذي قَبِلَ والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة »[١] .

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم ، جمع وتخريج/ يسرى السيد محمد (٤ / ٦٣) ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

وقال رحمه الله في النونية :

« وله الشفاعة كلها وهو الذي ... في ذاك يأذن للشفيع الداني
لمن ارتضى ممن يوحده ولم ... يشرك كما قد جاء في القرآن » (١)

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : « لا يملكها أحدٌ إلا بتمليكه ، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه » (٢) ، « لأن الأمر كله لله ، وكل شفيع فهو يخافه ، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإذا أراد رحمة عبده أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع رحمة بالاثنين » (٣) .

ولا يحق لمنكر الشفاعة أن يستدل بهذه الآية على عدم وقوعها يوم القيامة.

« فقد يستدل بهذه الآية على وجود الشفاعة في الجملة يوم القيامة لأن الملك أو الاختصاص الذي هو مفاد اللام هنا يقتضي الوجود فالاستدلال بها على نفي الشفاعة مطلقاً في غاية الضعف » (٤)

(فالمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه ، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة) (٥) .

فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولاغيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد ، تبين أن الشفاعة كلها لله وإنما يمنح غيره تفضلاً وإكراماً للشافع وللمشفوع له .

فلهذا لم يجز طلبها من غيره ، بل تُطلب منه وحده ، بالقول : اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك محمد ﷺ ، أو كذلك الشهيد أو الصغير بالقول : اللهم شفّعه فيَّ ، ونحو ذلك .

---

(١) نونية ابن القيم .
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٧ / ١٨٧) .
(٣) تيسير الكريم الرحمن / للسعدي (ج٧ / ٤٤) المجلد الرابع .
(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / الألوسي (ج٢٤ / ١٠) المجلد الثاني عشر ـ مع زيادة يسيرة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .
(٥) معارج القبول / لحافظ حكمي (٢ /٨٨٨ - ٨٨٩) .

فمن طلبها من النبي ﷺ بعد موته في الحياة البرزخية بحجة أنه يطلبها من الذي أعطاه الله إياها يقال له :

إن الله ـ عز وجل ـ أعطى رسوله ﷺ الشفاعة ، ونهاك أن تطلبها منه في حياتك وبعد موته ﷺ حال كونه في الحياة البرزخية ، بقوله تعالى : ﴿ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن :١٨] ، فتطلب الشفاعة بالدعاء فيشفّعه الله فيك يوم القيامة بإذنه سبحانه وتعالى ، فهي مظهر من مظاهر رحمة الله ـ تعالى ـ لا يشمل بهذه الرحمة إلا من يستحقها .

قال الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف : ١٥٦] .

فالشفعاء وسيلة ينفذ من خلالهم قدر الله ـ عز وجل ـ والله تعالى أعلم .

المبحث الثاني

الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ

لقد خصّ الله ـ تبارك وتعالى ـ نبيه محمداً ﷺ بخصائص عظيمة ومنح وعطايا كريمة ليس لأحد عليه فيها مزيد ولا يلحقه عبد من العبيد فيها ، ونجد أن هذه الخصائص تنقسم إلى قسمين هما :

القسم الأول : خصائص تشريعية وهي :

[١] وهي ما اختص الله به النبي محمداً ﷺ من التشريعات الإلهية دون الأنبياء السابقين كما ورد ذلك في السُّنَّة النبوية المطهرة في قوله ﷺ : « **أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي .. »** (١) .

[٢] ما اختص به النبي ﷺ دون أمته مع مشاركة الأنبياء السابقين فيها ، كتزوجه بأكثر من أربع نسوة وغيرها .

القسم الثاني : خصائص تفضيلية :

[١] وهي عبارة عن التشريفات والكرامات والفضائل التي خُصّ به نبينا محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء في الحياة الدنيا أو الآخرة .

[٢] ما اختص به النبي ﷺ دون أمته مع مشاركة الأنبياء السابقين له فيها فمن هذه الخصائص التفضيلية تخصيص النبي ﷺ في بعض أنواع الشفاعة يوم القيامة عند رب العزة والجلال ، فمنها المتفق في خصوصيتها ، ومنها المختلف في خصوصيتها (٢) بل يشاركه فيها غيره من الشفعاء يوم القيامة ، وكل أنواع الشفاعة مختصةٌ بأهل الإخلاص ، الذين لم يتخذوا من دون الله ولياً ولا شفيعاً ،

---

(١) سبق تخريجه ص ٨٦ .

(٢) يقصد بالمتفق في خصوصيتها : أي بين الأئمة والعلماء ، ويقصد بالمختلف في خصوصيتها : أي بين الأئمة والعلماء في كونها خاصة بالنبي ﷺ ، أم يشاركه غيره من الأنبياء وغيرهم من الشفعاء يوم القيامة .

كما قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنعام :٥١] ، إلا نوع واحد من أنواع الشفاعة فلا يختص بأهل الإخلاص ، وهي الشفاعة لأبي طالب فهي تخفيف من العذاب خاصة بأبي طالب وحده .

المطلب الأول

الشفاعة المتفق في خصوصيتها بالنبي ﷺ
(العامة لأهل الموقف)

أولاً : الشفاعة العظمى :

وهي أعظم الشفاعات وأعمّها لأنها واردة من النبي ﷺ من أجل الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ ليقضي بين خلقه جميعاً ولم تكن مختصة بأمة دون أخرى ، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى ، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم لفصل القضاء بين الناس ، فهذا شامل للمؤمنين والكفار ، فهي شفاعة يومئذ لبدء الحساب ولن ينجي الكفار من النار .

وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين طالباً ربه ـ عز وجل ـ أن يريح عباده من موقفهم العصيب ، ومن شدة الكرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : « فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم »[١] .

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال : الأول ـ وهو أصحها ـ الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حُذيفة بن اليمان »[٢] .

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : « قال العلماء : المقام المحمود هي شفاعته ﷺ يوم القيامة للناس في الموقف ، ليريحهم الله مما هم فيه من شدة »[٣] .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٨ / ١٣١) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٠٩) .
(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٢) .

(فلرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد . . ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول: (أنا لها) [١] .

وقال ابن خزيمة [٢] - رحمه الله -: « . . . أن المقام الذي يشفع فيه النبي ﷺ لأمته هو المقام المحمود الذي وعده الله ـ عز وجل ـ في قوله : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩] » [٣] .

وقال القاضي عياض - رحمه الله -: « وقال قتادة[٤]: كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة ، وعلى أن المقام المحمود مقامه ﷺ للشفاعة مذاهبُ السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين » [٥]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٥٩) .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن المغيرة ، أبو بكر ، السلمي الشافعي (المعروف بابن خزيمة) ، الحافظ الحجة الفقيه ، إمام الأئمة ، عني بالحديث والفقه ، فكان مضرب المثل في سعة علمه ، وكان له جلالة في القلوب لعلمه ودينه ، واتباعه للسنّة . ولد سنة ٢٢٣هـ بالنيسابور ، من مصنفاته : " كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل " صحيح ابن خزيمة وغيرها ، توفي سنة ٣١١هـ بنيسابور . انظر: : طبقات الشافعية / للسبكي (٣ / ١٠٩ ، ١١٠) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٤ / ٣٦٥ وما بعدها) ، شذرات الذهب / لابن عماد (ج٢ / ٢٦٢ وما بعدها) المجلد الأول ، الأعلام / للزركلي (٦/ ٢٩) .

(٣) التوحيد لابن خزيمة - تحقيق / عبدالعزيز الشهوان (٢ / ٧٢٤) مكتبة الرشد ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثانية ـ (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

(٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي الضرير الأكمه المفسر ، ولد عام ٦٠هـ ، كان راساً في العربية و اللغة وأيام العرب والنسب ، وكان أحفظ الناس ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه ، وله تفسير ، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨هـ وقيل سنة ١١٧هـ . انظر: : تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ١٢٢) ، سير اعلام النبلاء / للذهبي (٥ / ٢٦٩ وما بعدها) ، طبقات المفسرين / للداودي (٢ / ٤٣) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ١٨٩) .

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ـ تحقيق / علي محمد البجاوي (١ / ٢٩٣) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

وقال الإمام اللالكائي [١] في بداية سياق أحاديث الشفاعة : (ما روي في أن المقام المحمود هو الشفاعة) [٢] .

وقال الإمام ابن حجر-رحمه الله-: « والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة »[٣].

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذكر الشفاعة العظمى من ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « أُتي رسول الله ﷺ بلحم فَرُفِعَ إليه الذراع وكانت تُعجِبُهُ فنهس[٤] منها نهسةً ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك يُجمَعُ الناس الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ[٥] يسمعهم الدَّاعي وينفذُهم البصر[٦] وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يُطيقون ولايحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك الا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول : آدم إنّ ربيَّ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلهُ مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن

---

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي اللالكائي ، من أهل طبرستان ، استوطن بغداد ، درس الفقه الشافعي وبرع فيه ، خرج في آخر أيامه إلى الدينور ، فمات بها كهلاً سنة ٤١٨هـ ، له مصنفات من اشهرها (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة) وهي من افضل الكتب التي ألفت في مجال العقيدة من حيث عرض أصول أهل السُّنَّة والجماعة . انظر: : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ٤١٩-٤٢٠) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (٣ / ١٠٨٣) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢١١) المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي (٨ / ٧١) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦ / ١١١٢) .

(٣) فتح الباري : كتاب الرقاق (١١ / ٤٣٥) .

(٤) فنهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، والنهش : الأخذ بجميعها ـ النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الأثير (٥ / ١٣٦) باب النون مع الهاء .

(٥) صعيدٍ واحد : الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية . شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٦٦) المجلد الأول .

(٦) ينفذهم البصر: ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم ويحيط بهم ، وقال صاحب المطالع : معناه أنه يحيط بهم الناظر . انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٦٦) المجلد الأول ، وقيل: أراد ينفذهم بصر الناظر، لاستواء الصعيد ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ / ٩١) .

الشجرة فعصيتُهُ نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري.، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، أذهبو إلى غيري ، أذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليلُهُ من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، الا ترى ما نحن فيه ، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات[1]، . . . ، نفسي نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفساً لم أُومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وكلّمت الناس في المهد صبياً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع

---

(١) قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله (لطاغية مصر آنذاك أن سارة زوجته هي أخته) – صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً (٤ / ١٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقيل الثالثة قوله للكوكب : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ انظر: صحيح مسلم. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : (وإنما سمى " إبراهيم عليه السلام هذه كذبات " تواضعاً منه ، لأنها بحسب مراده صدق مطابق للواقع، فهي من باب التورية، والله أعلم)– شرح العقيدة الواسطية / لابن عثيمين (ص٢٠٤) .

ساجداً لربّي ـ عز وجل ـ ثم يفتحُ الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تُعطه واشفع تُشفع ، فارفع رأسي فاقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء[١] الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وحمير[٢] ، أو كما بين مكة وبُصرى[٣] »[٤] .

قال ابن خزيمة - رحمه الله -: « هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق فعندما يأمره الله ـ عز وجل ـ أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن فهو أول الناس دخولاً الجنة من المؤمنين »[٥] .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله -: « وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ﷺ . وقوله : (أقول يا رب أُمتي أُمتي ، اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم ، وقوله : فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شُفِّع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أُمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته ، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلبه هذه

---

(١) هم شركاء الناس : يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب .

(٢) حمير : قيل هي موضع باليمن غربي صنعاء ، وقيل محلة بظاهر دمشق على القنوات . انظر: : معجم البلدان / ياقوت الحموي (٢ / ٣٠٧) .

(٣) بصرى : هي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وهي مدينة حوران ، وبينها وبين مكة شهر . انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٦٩) المجلد الأول .

(٤) رواه البخاري: كتاب التفسير ، باب تفسير سورة بني إسرائيل (الإسراء) ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ (٦ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧) ح ٤٧١٢ ، وفي : أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ (٤ / ١٦٣-١٦٤) ح٣٣٤٠ ومسلم: كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٨٤-١٨٥) ح ١٩٤ . واللفظ للبخاري .

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٥٩٦) .

الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذي وعده » [١] .

فهذا كلام فيه توضيح لما بعد الاستشفاع بالنبي ﷺ في ذلك اليوم في الشفاعة العظمى .

وكذلك من الأدلة على الشفاعة العظمى ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : « **إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً** [٢] **كُلُ أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود** » [٣] .

وقوله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم » . وقال : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرقُ نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ . فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم » [٤] .

ثانياً : شفاعته لأهل الجنة ليدخلوها :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ﷺ : « **أنا أوّل الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً** ، وفي لفظ : "... ، **وأنا أول من يقرع باب الجنة** " » [٥] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح** ،

---

(١) التذكرة من أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨١) ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

(٢) جُثاً : جمعُ جثوة بالضّم ، وهو الشيء المجموع ، انظر : النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير (١ / ٢٣٩) .

(٣) رواه البخاري : كتاب التفسير ، سورة الإسراء ، باب قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (٦ / ١٠٨) ح ٤٧١٨ .

(٤) رواه البخاري : كتاب الزكاة ، باب من سأل الناس تكثراً ، (٢ / ١٥٣) ح ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ومسلم : كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس (٢ / ٧٢٠) ح ١٠٤٠ ، واللفظ للبخاري .

(٥) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : (أنا أول الناس يشفع في الجنة) (١ / ١٨٨) ح ١٩٦ .

فيقول الخازن : من أنت ؟ ، فأقوال : محمدٌ ، فيقول : بك أُمرتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك »[١] .

وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط ، وقفوا على قنطرة ، فيقتص لبعضهم من بعض، وهذا القصاص غير القصاص الذي كان في عرصات القيامة، بل هو قصاص اخص ، يطهر الله فيه القلوب ، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن، فإذا هُذّبوا ونُقوا ، أذن لهم في دخول الجنة .

ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة ، لا يجدونها مفتوحة كما يجد ذلك أهل النار ، فلا تفتح الأبواب ، حتى يشفع النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها ، فيدخل كل إنسان من باب العمل الذي يكون أكثر اجتهاداً فيه من غيره ، وإلا فإن المسلم قد يدعى من كل الأبواب .

وهذه الشفاعة يشير إليه القرآن ، لأن الله قال في أهل الجنة : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** ﴾ [الزمر: ٧٣] ، وهذا يدل أن هناك شيئاً بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب)[٢] .

وقال ﷺ : « **يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تُزلف**[٣] **لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك : أذهبوا ... فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذنُ له ...** »[٤] .

---

(١) المصدر السابق (١ / ١٨٨) ح ١٩٧ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله(ص٤٠٣) .

(٣) تُزلف : اي تقرب : كما قال الله تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ اي قربت ، النهاية /لابن الأثير (٢ / ٣٣٠) نحوه .

(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب ادنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٦) ح ١٩٥ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره.. ورواه البخاري: ك الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ ، وغيره برقم (٣٣٤٠ ، ٣٣٦١) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ برقم (٤٧١٢) واللفظ لمسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وأول من يستفتح باب الجنة : محمد ﷺ ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته »[١] وذلك لقوله ﷺ : « **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة..** »[٢] .

وقال رحمه الله تعالى : « وهاتان الشفاعتان خاصتان به ﷺ »[٣] أي الشفاعة العظمى ، والشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة .

ثالثاً : شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار :

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ دون غيره وهي شفاعته في عمه أبي طالب ، فكما ورد في الصحيحين أن أبا طالب مات على الكفر إلا أنه أحسن إلى رسول الله ﷺ إحساناً كبيراً ، فاستحق هذه الشفاعة من النبي ﷺ بسبب نصرته ودفاعه عنه .

« وكان من حكمة الله ـ عز وجل ـ أن بقي (أبو طالب) على كفره ، لأنه لولا كفره ، ما حصل هذا الدفاع عن الرسول عليه الصلاة والسلام بل كان يؤذى كما يؤذى الرسول ﷺ ، لكن بجاهه العظيم عند قريش وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه ، وصار للنبي عليه الصلاة والسلام جانب من الحماية بذلك »[٤] .

والدليل على هذه الشفاعة ما ورد عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، قال للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : « **هو في ضحضاح**[٥] **من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار** »[٦] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٢) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢ / ٥٨٥-٥٨٦) ح ٨٥٥ ، والبخاري : كتاب الأيمان والنذور ، باب الأول (٨ / ١٦٠ - ١٨٩)ح ٦٦٢٤وكتاب الديات ، باب من أخذ حقه أو اقتضى دون السلطان (٩ / ٨) ح ٦٨٨٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله (ص٤٠٤) .

(٥) ضحضاح : الضحضاح في الأصل : مارَقَّ من الماء على وجه الأرض مما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٧٥) .

(٦) رواه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة ،أبي طالب(٥ / ٦٥)ح ٣٨٨٣ ومسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١ / ١٩٥) ح ٢٠٩ واللفظ للبخاري .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ «**وذُكر عنده عَمّهُ فقال لعَلهُ تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاحٍ من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**»(١) .

فلا بد أن نعلم أن هذه الشفاعة التي نفعت أبا طالب هي شفاعة تخفيف عليه من دركات النار وليست شفاعة إخراج ، ولكن يعتبر أهون أهل النار من الكفار عذاباً كما ورد ذلك في الحديث الصحيح بقوله ﷺ : « **أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغُهُ** »(٢) .

« فلا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة »(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « فإذا كان في الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب بالكلية »(٤) .

وقال الإمام البيهقي(٥) **- رحمه الله -** : « صحّت الرواية في شأن أبي طالب فلا

---

(١) رواه البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب (٥ / ٦٦) ح ٣٨٨٥ ، ومسلم : كتاب الإيمان : باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب / ٢٩٥ / ح ٢٠٩ .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً (١ / ١٩٦) ح ٢١٢ ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وأحمد في مسنده (١ / ٢٩٠) وغيرهما .

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة / للقرطبي (ص٢٨٧) مع زيادة يسيرة .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٤) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، المولود في خسر وجرد (من قرى بيهق بنيسابور) عام ٣٨٤هـ ، وهو فقيه ، حافظ ، أصولي ، زاهد ، ورع ، من جبال العلم ، .. سمع من كبار علماء عصره ، ورحل لطلب العلم إلى بغداد وخراسان والحجاز وغيرها من البلدان ، اشتغل بالتصنيف ، بلغت تصانيفه الف جزء ، منها : (السنن الكبرى والصغرى، دلائل النبوة ، الأسماء والصفات في التوحيد ، الاعتقاد .. ، البعث والنشور) وغير ذلك، توفي عام ٤٥٨هـ في نيسابور . انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / لابن الجوزي ـ تحقيق / محمد عبدالقادر عطا وآخر(١٦ / ٩٧) ترجمة رقم ٣٣٨٧ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، طبقات الشافعية / للسبكي (٤ / ٨-١٦) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٨ / ١٦٣ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (١ / ١١٦) .

معنى للإنكار من حيث صحة الرواية ، ووجْهُه عندي أن الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد ،وهو عام في حق كل كافر ، فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه ، قال : وجملة بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض أجزاء معاصيه تطييباً لقلب الشافع لا ثواباً للكافر لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباء منثوراً » [١] .

فلا تعارض مع قول الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر :٤٨]، إذ شفاعة الرسول ﷺ لأبي طالب مخصوصاً من هذه الآية .

وقال القرطبي [٢] ـ رحمه الله ـ في كتابه المفهم .. « اختلف في هذه الشفاعة هل هي لبيان قولٍ محققٍ أو لسان حال ؟ .

والأول : يشكل بالآية ، وجوابه جواز التخصيص .

والثاني: يكون معناه أن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي ﷺ والذب عنه جوزي على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعة لكونها بسببه .

وقد يورد أيضاً على هذا المعنى فيقال : هذا إثباتُ نَفع الكافر في الآخرة بما عمله في الدُنيا . وقد نفاه النبي ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ يا رسول الله ابن جُدْعَان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ ، قال ﷺ : **«لا تنفعُهُ إنّه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين »** [٣] .

---

(١) كتاب البعث والنشور ـ تحقيق الشيخ ، عامر أحمد حيدر (ص٦١) مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، وانظر: فتح الباري (١١ / ٤٣٩) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، كان مدرساً بالأسكندرية ، ولد سنة (٥٧٨هـ) بقرطبة ، من كتبه : ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، مختصر الصحيحين)) ، توفي بالأسكندرية سنة (٦٥٦هـ) . انظر: : شذرات الذهب / لابن العماد (٥ / ٢٧٣ - ٢٧٤) ، الأعلام / للزركلي ١ / ١٨٦) .

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على ان من مات على الكفر لا ينفعه عمله ١ / ١٩٦) ح ٢١٤ ، وأحمد في مسنده (٦ / ٩٣ و ١٢٠) .

وبقوله ﷺ : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً ، يُعْطَى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعمُ بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتّى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يُجزى بها »[١] .

والجواب من وجهين :

أحدهما : ما تقدم في جواز التخصيص .

والثاني : أن المخفف عنه لمّا لم يجد أثراً لما خُفف عنه فكأنه لم ينتفع بذلك .

ألا ترى أنه يعتقد أنه ليس في النار أشد عذاباً منه؟، مع أن عذابه جمرة من جهنم في أخمصه، وسببه : أن القليل من عذاب جهنم ـ أعاذنا الله منه ـ لا تطيقه الجبال ، وخصوصاً عذاب الكافر ، وإنما تظهر فائدة التخفيف لغير المعذّب ، وأما المعذّب فمشتغل بما حلَّ به ، إذ لا يُخلّى ، ولا بغيره يتسلى ، فيصدق عليه أنه لم ينتفع ولم يحصل له نفع البتة »[٢] أ.هـ .

فالنبي ﷺ لم يكن له مطلق الحرية في اختيار نوع الشفاعة ، بل يكون ذلك محدداً بنوع معين منها وهي شفاعة تخفيف من العذاب لا شفاعة إخراج من النار .

قال الإمام الصنعاني[٣] ـ رحمه الله ـ ، ذاكراً شفاعة الرسول الخاصة به دون غيره : « والخاصةُ هي الشفاعةُ الكبرى التي تَدَافَعَهَا الأنبياء ، وكذلك الشفاعة في دخول الجنة ، وكذلك في التخفيف من عذاب الكفّار فهذه ثلاثةُ أنواعٍ مختصةٌ به ﷺ

---

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل ... (٤ / ٢١٦٢) ح ٢٨٠٨ ، واللفظ له ، وأحمد في مسنده (٣ / ١٢٣ و ٢٨٣) من حديث انس ابن مالك رضي الله عنه .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ـ تحقيق / محي الدين ديب مستو وآخرون (١ / ٤٥٧-٤٥٨) ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ، ودار الكلم الطيب ـ دمشق ـ سوريا ، بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، وانظر : فتح الباري (١١ / ٤٣٩) .

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم ، المعروف بالأمير ، ولد في كحلان سنة ١٠٩٩هـ ، ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧هـ ، أصيب بمحن كثيرة ، له نحو مائة مؤلف منها : (توضيح الأفكار في المصطلح ، سبل السلام ، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة) وغير ذلك . انظر: البدر الطالع / للشوكاني (٢/١٣٣- ١٣٩) ، الأعلام / للزركلي (٦/٣٨) .

من الشفاعة » [١] .

رابعاً : شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « **عُرضت عليَّ الأُمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمّةُ والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سوادٌ كثيرٌ ، قُلتُ ياجبريل هؤلاء أمتي ؟ ، قال : لا ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سوادٌ كثيرٌ ، قال هؤلاء أُمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قُدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت ولم ؟ ، قال : كانوا لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** ، فقام إليه عكاشةُ ابن مِحْصَنٍ فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : (**اللهم اجعله منهم**) ثم قام إليه رجلٌ آخر قال ادع الله أن يجعلني منهم قال : (**سبقك بها عكاشة**) [٢]

ومن ذلك ما يُقال للنبي ﷺ في الشفاعة العظمى : « **يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة . .** » [٣] .

وعن عمران بن حُصين [٤] رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » [٥] .

---

(١) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ـ تحقيق /محمد صبحي حلاق (ص٤٤٦) ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ،باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب(٨ / ١٤٠) ح٦٥٤١ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب(١ / ١٩٩) ح ٢٢٠ ، واللفظ للبخاري .

(٣) سبق تخريج الحديث ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ص ١٥٠ .

(٤) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي ، أبو نجيد ، أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله ﷺ عدة غزوات ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة يفقه أهلها ، وتولى قضاء البصرة في عهد عبد الله ابن عامر ؛ ثم استعفى فأعفاه ، وكان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة ، توفي سنة ٥٢هـ ، انظر : أسد الغابة (٣ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) ترجمة رقم / ٤٠٤٢ ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٨ وما بعدها) ، تذكرة الحفاظ) (١ / ٢٩ ، ٣٠) ، تقريب التهذيب (١ / ٧٥٠) ترجمة رقم / ٥١٦٦ .

(٥) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ،(٨ / ١٢٤) ح٦٤٧٢ ورواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٨) ح٢١٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يدخل ـ أي الجنة ـ من أمتي زمرةٌ هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر** »[١] .

فمن خلال ما أوردنا من أدلة يتبين بأن السبعين ألفاً هم من أمة محمد ﷺ ، وهو أحق بالشفاعة فيهم فتكون خاصة به ﷺ دون غيره من الشفعاء .

قال ابن حجر - رحمه الله - : « .. فإن السبعين ألفاً المذكورين من جملة أمته ، لكن لم يكونوا في الذين عرضوا إذ ذاك فأريد الزيادة في تكثير أمته بإضافة السبعين ألفاً إليهم »[٢] .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « فكونهم من أمته ﷺ لا شك فيه .. »[٣] .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ : « يشفع ـ ﷺ ـ عند ربه في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب ، فإن هذه خاصة به ـ ﷺ ـ كما قال القاضي عياض ، والإمام النووي .. وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي[٤] في أنموذج اللبيب »[٥] .

وكما ورد في بعض الروايات أن الله ـ عز وجل ـ أعطاه ، ووعده ذلك من أمته ، لقوله ﷺ : « **أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر**

---

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٨ / ١٤٠) ح٦٥٤٢ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٧) ح ٢١٦ .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤١٦) .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (ج٣ / ٩٤) المجلد الأول .

(٤) هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري ، السيوطي ، أو الأسيوطي نسبة على أسيوط مصر ، الشافعي ، المسند ، المحقق ، إمام ، حافظ ، مؤرخ ، أديب ، ولد في عام ٨٤٩هـ ، توفي والده وهو ابن خمس سنوات ، ختم القرآن وعمره ثمان سنين ، ثم حفظ عدداً من الكتب .. توفي في روضة المقياس (على نيل مصر) في منزله .. عام ٩١١هـ ، وله عدة مصنفات تزيد على الخمسمائة منها : (تناسق الدرر في تناسب السور ، الإتقان في علوم القرآن ، تاريخ الخلفاء ، طبقات المفسرين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور .. وغيرها كثير . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد (ج٨ / ٥١) المجلد الرابع ، الضوء اللامع / للسخاوي (ج٤ / ٦٥ وما بعدها) ، المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٣٠١-٣٠٢) .

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .

ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي ـ عز وجل ـ فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً »[١] .

وقال ﷺ : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، وثلاث حثيات[٢] من حثيات ربي ـ عز وجل ـ »[٣] .

فهذا إكرام من الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ ،ولأمته ولكن لا ينال هؤلاء السبعون ألفاً الجنة إلا بانطباق ما ذكر في الحديث في أوصافهم حتى يدخلوها بغير حساب ولا عذاب ..

خامساً : خصوصيته في تأجيل دعوته لأمته ﷺ :

هذه دعوة تأجيلها خاص بالنبي ﷺ ، لأن إخوانه من الأنبياء دعوا بالدعوات الذي أعطاهم الله إياها ولم يثبت تأخير شيء منها .

قال الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ : « إن الله عز وجل أعطى كل نبي دعوة وعد إجابتها ، فتعجل كل نبي منهم ـ صلى الله عليهم وسلم ـ مسألته فأعطى سؤله ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٦) ، وقال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى وفيهما المسعودي وقد اختلط وتابعيه لم يسم ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ، مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٠) ، وقال الشيخ الألباني رحمه الله : (الحديث صحيح فإن له شواهد كثيرة عن جمع من الصحابة، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ، برقم (١٤٨٤) .

(٢) الحثيات :هي كناية عن المبالغة في الكثرة. انظر:النهاية في غريب الحديث والأثر/لابن الأثير (١ / ٣٣٩).

(٣) الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة (٤ / ٥٤٠) ح٢٤٣٧، وقال هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ (٢ / ١٤٣٣) ح ٤٢٨٦ ، وأحمد في مسنده (٥ /٢٦٨) والسُّنَّة لابن أبي عاصم ـ تحقيق الألباني(٢ /٣٨٥) ح٨١٤ ، ومشكاة المصابيح تحقيق الألباني (٣ / ١٥٤١ ، ١٥٤٢) ح ٥٥٥٦ ، كلهم من حديث أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه ، وقال الشيخ الألباني : إسناده صحيح ، وانظر: صحيح الجامع برقم / ٧١١١ ، وكذلك انظر: الكلام في إسناده في كتاب الشفاعة : للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله (ص١١٣) ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ط الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) .

وأخّر نبينا ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته »[١] .

فهي مخصوصة بأمته ﷺ مضمونة الإجابة من الله ـ عز وجل ـ فكونها مرتبطة بالشفاعة يوم القيامة ذكرناها في هذا الموطن ، لثبوت ذلك عن النبي ﷺ بقوله : « **لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة** »[٢] .

فهذه الدعوة هي شفاعة لأمته يوم القيامة سواءً كانت لأهل الجنة ليدخلوها ، أو لأهل الذنوب والمعاصي من أمته خاصة .

« وإلا فقد أخبر ﷺ أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا وأُعطي بعضها ، ومُنع بعضها ، وادّخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة ، وخاتمة المحن ، وعظيم السؤال والرغبة »[٣] .

قال القاضي عياض - رحمه الله -: عند قوله ﷺ : « **لكل نبي دعوةٌ يدعو بها ، واختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة** »[٤]، قال أهل العلم : دعوةٌ أعلم أنها تستجاب لهم، ويُبْلَغ فيها مرغوبهم ، وإلا فكم لكل نبّي منهم من دعوةٍ مستجابةٍ ، ولنبينا ﷺ منها ما لا يُعدُّ، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضُمِنَتْ لهم إجابةُ دعوةٍ فيما شاءوه ، يدعون بها على يقين من الإجابة »[٥] .

ولهذا « فالأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضله به من الشفاعة وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حَوَتْ على ما اقتصصنا »[٦].

---

(١) كتاب التوحيد / لابن خزيمة (٢ / ٦٢٢) ، وانظر: المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٤١٣) برقم ١٣٥٢٢ .

(٢) سبق تخريج الحديث ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ص ٨٦ .

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق / علي محمد البجّاوي (١/ ٣٠٢-٣٠٣) .

(٤) سبق تخريج الحديث ص ٨٦ .

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٠٢) .

(٦) كتاب السُّنّة / لابن أبي عاصم ـ تحقيق/ الألباني (٢ / ٣٩٩) بتصرف يسير .

المطلب الثاني

الشفاعة المختلف[١] في خصوصيتها بالنبي - ﷺ -

أولاً: شفاعته في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فلا يدخلونها:

وفي ذلك ما ورد عن النبي ـ ﷺ ـ قال: « أمرّ بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلق واستأذن على الرب ـ عزوجل ـ فيأذن لي فأسجد وأقول: يا رب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فيقول لي: انطلق فأخرج منهم، قال: فانطلق واخرج منهم من شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد ننشدك الشفاعة فأرجع إلى الرب فأستأذن فيؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه واشفع تشفع، فأثني على الله بثناء لم يثن عليه أحد، أقول: ثَمَّ قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم قال: فأقول يا رب، أخرج منهم من قال: لا إله إلا الله، ومن كان في قلبه حبة من إيمان، قال: فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي، قال: فأنطلق وأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم النار، قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكاً بكف من ماء فينضح بها في النار، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون ويدخلون الجنة فيقال: انطلقوا فتضيفوا الناس، فلو أنهم جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المجردين »[٢].

---

(١) المختلف من خصوصيتها به ﷺ: اي هل هذه الشفاعة خاصة به ﷺ أم يشركه غيره فيها من الملائكة والأنبياء والصالحين، أمّا الإختلاف في حكم ثبوت هذا النوع من الشفاعة فسيرد أقوال الائمة في ذلك.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم ـ تحقيق / محمد أحمدعبد العزيز (٢/٢٠٥ - ٦-٢) دار الصابوني ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون، والحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد ابن أبي كريمة، وقد وثقة الدارقطني، وقال الجعابي: يحدث عن ابن سلمة بعجائب كما في التهذيب والميزان، ويُخشى أيضاً من إرساله، فيحتمل أن يكون عبد الله بن الحارث سمعه من أبي هريرة، ويحتمل أن يكون أرسله، والله أعلم ـ انظر: كتاب الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - (ص١١١).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألاَّ يدخلوها ، ويكون معنى قوله (أخرج) أي (أنقذ) بدليل قوله - ﷺ - بعد ذلك : (ويبقى قوم فيدخلون النار) »[١] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال :قال رسول الله - ﷺ - في قوله تعالى : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [فاطر: ٣٠] ، قال :(أجورهم يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله ، الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا)[٢] .

وقد نص على هذا النوع من الشفاعة أئمة من المسلمين ،وذلك عند ذكرهم أنواع الشفاعة ، منهم :

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « فيشفع - ﷺ - فيمن استحق النار أن لا يدخلها ... »[٣] .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - لبعض العصاة من أمته قد استوجبوا النار أن لا يدخلوها »[٤] .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا - ﷺ - ومن شاء الله تعالى »[٥] .

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢ / ٢٠٦) .

(٢) حلية الأولياء لابي نعيم (٤ / ١٠٨) ومجمع الزوائد للإمام الهيثمي (٧ / ١٣) وقال : رواه الطبراني من الأوسط والكبير ، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال : أتى بخبر منكر ، وبقية رجاله وثقوا ، والسُّنَّة لابن أبي عاصم - تحقيق : الالباني (٢ / ٤٠٨) وقال الألباني - رحمه الله - : (إسناده ضعيف ، انظر كتاب السُّنَّة لابن أبي عاصم برقم (٨٤٦) ، وقال الشيخ مقبل - رحمه الله - : (غريب من حديث الأعمش ، عزيز عجيب من حديث الثوري ، تفرد به إسماعيل بن عبيد الكندي عن الأعمش ، وعن إسماعيل بقية بن الوليد وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ ....) انظر : كتاب الشفاعة ، ص١١١ ، ١١٢ .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ، جمع وتحقيق/عبد الاله بن سلمان الاحمدي (٢ / ٢١٣).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم (٣ / ٣٥) المجلد الأول .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا » (١) .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « ... وفي قوم من أمته استوجبوا النار فيشفعه فيهم نبينا ـ ﷺ ـ ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة » (٢) .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « شفاعته في أقوام .... ، وفي أقوام آخرين قد أُمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوها » (٣) .

وذُكر في كتاب فتح المجيد : « شفاعته ـ ﷺ ـ لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم ، فيشفع لهم أن لا يدخلوها » (٤) .

وأما بالنسبة للخلاف في خصوصيتها بالنبي ـ ﷺ ـ دون غيره .

فقد ذكر الإمام السفاريني في كتابه بقوله :« جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به ـ ﷺ ـ وتردد النووي في ذلك .قال السبكي لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه . وجزم في الأنموذج (السيوطي) بأنها من خصائصه ـ ﷺ ـ » (٥) .

وممن نص على عدم خصوصيتها شيخ الإسلام ابن تيميه بقوله :« وأما الشفاعة الثالثة، فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها » (٦) .

« فهي ليست خاصة بالنبي ـ ﷺ ـ ، بل تكون للنبيين، حيث يشفعون في عصاة قومهم ، وللصديقين يشفعون في عصاة أقاربهم وغيرهم من المؤمنين،وكذلك تكون

---

(١) فتح الباري (١١ / ٤٣٦) .
(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨٦) مع زيادة يسيرة .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق الألباني (ص٢٣٢) .
(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٨٧) وأعلام السُّنَّة المنشورة لحافظ حكمي (ص١٤٥) في سؤال كم أنواع الشفاعة .
(٥) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .
(٦) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٧) .

لغيرهم من الصالحين،حتى يشفع الرجل في أهله وفي جيرانه وفيما أشبه ذلك»[١].

فالأحاديث في غير هذا النوع من الشفاعة ، كثيرة جداً ، بل متواترة.

وأما هذا النوع وهو(فيمن استحق النار أن لا يدخلها) فقد يستفاد من دعاء الرسول ـ ﷺ ـ للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم لأن دعوة النبي ـ ﷺ ـ مقبولة، وكذلك دعاء المؤمنين الصالحين لبعضهم البعض.

ثانياً : شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة :

ودليل هذا ماورد عن النبي ـ ﷺ ـ في دعائه لأبي سلمة [٢] لما توفي فقال : **«اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونورٌ له فيه»** [٣] .

فدعا له بزفع درجته في الجنة ، وكذلك قوله ـ ﷺ ـ : **«اللهم اغفر لعُبَيد أبي عامر**[٤]**، .... ، اللهم أجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك من الناس »**[٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **« إن الله ـ عز وجل ـ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة** ، فيقول : يارب أنّى لي هذه؟ ، **فيقول : باستغفار ولدك لك»** [٦].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص٤٠٦) مع تصرف يسير .

(٢) الصحابي الجليل : عبد الله بن عبد الاسد هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم القُرشي المخزومي ، أمه بُرة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو ابن عمة النبي ﷺ ، كان قديم الإسلام . هاجر إلى الحبشة معه امرأته أم سلمة ، ثم عاد وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً ، وجرح باحد فمات منه في جمادي الآخرة سنة ٤هـ ، انظر : أسد الغابة (٦ / ١٦١ ، ١٦٢) ، ترجمة رقم / ٥٩٧١ ، تقريب التهذيب (١ / ٥٠٦) رقم / ٣٤٣٦ .

(٣) رواه مسلم : كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر (٢ /٦٣٤) ح٩٢٠من حديث أم سلمة رضي الله عنها، أحمد في مسنده ٦ /٢٩٧) .

(٤) هو عبيد بن سُليم بن حضار عم أبي موسى الأشعري . انظر : (٧/٢٥٢) برقم / ١٠١٧٩ .

(٥) رواه البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة أوطاس (٥ / ١٩٨) ح / ٤٣٢٣، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين (٤ / ١٩٤٣) ح٢٤٩٨ ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢ / ٥٠٩) ، ومالك في الموطا : كتاب القرآن ، باب العمل في الدعاء (١ / ٢١٧) ح٣٨ ، واللفظ لأحمد .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها »[١] .

وقال شارح العقيدة الطحاوية عند ذكره لأنواع الشفاعة : « وشفاعته - ﷺ - في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم »[٢] .

وقد قيل إن هذه الشفاعة خاصة بالنبي - ﷺ - دون غيره .

وذكر الإمام السفاريني - رحمه الله - : « أن النووي جوز اختصاصها به - عليه الصلاة والسلام - وجزم في كتاب الانتقاء له باختصاصها به . . وصرح به القاضي عياض وابن دحية »[٣] .

وقيل إنها ليست خاصة به - ﷺ - ولكنه هو المقدم فيها[٤] .

وقد يستشهد بعدم اختصاصها بالنبي - ﷺ - بحديث أبي هريرة السابق في شفاعة الأولاد لآبائهم وكذلك الشفعاء من الأنبياء والملائكة والصالحين ، أو الأعمال الصالحة ، لقوله - ﷺ - : « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاث : إلاّ من صدقةٍ جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له** »[٥] .

ثالثاً : شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم :

وقد ذكر بعض العلماء أن من أنواع شفاعة الرسول - ﷺ - شفاعته فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة .

قال ابن حجر - رحمه الله - : « وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى وهي الشفاعة

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢٨٦) ، وشرح النووي لصحيح مسلم)ج٣ / ٤٤) المجلد الأول .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق الألباني (ص٢٣٢) ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٨٧) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .

(٤) أعلام السُّنَّة المنشورة ، لحافظ الحكمي (ص١٤٥) وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٨٧) .

(٥) رواه مسلم : كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/١٢٥٥) ح ١٦٣١ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأبو داود في سننه : كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت (٣ / ٣٠٠) ح ٢٨٨٠ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٧٢) ،وغيرهم .

فيمن استوت حسناته وسيآته أن يدخل الجنة ، ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ـ ﷺ ـ) » (١) .

وقال ـ رحمه الله ـ : « أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم » (٢) .

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم قوله : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)** ﴾ [فاطر : ٣٢] .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيره : « أن الظالم ها هنا لم يكن كافراً ولا فاسقاً . قال : وممن رُوِيَ عنه هذا القول عمر وعثمان وأبو الدرداء ، وابن مسعود ، وعقبة بن عمرو وعائشة ، والتقدير على هذا القول : أن يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر » (٣) .

وبهذه الصغائر يتأخر دخولهم الجنة تطهيراً لهم وتنقيةً لهم .

ففي هذه الحالة يحتاجون إلى شفاعة تنجيهم من دخول النار وتدخلهم الجنة ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال في هذه الآية ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾ قال : **« هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة »** (٤) .

فكلهم أصحاب الجنة ولكن يتفاوتون في الدرجات وفي وقت دخولهم إليها .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ١٨٩) برقم (١١٤٥٤) ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضاع،انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٨) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٣٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ٣٤٦) بتصرف يسير .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده(٣ / ٧٨) والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الملائكة(٥ / ٣٣٨) ح ٣٢٢٥ ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة »[١] .

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة »[٢] .

فهذا النوع من الشفاعة ثابت بقول بعض أئمة السلف ، ولكن لم يرد فيه تخصيص أو عدمه فلم أقف على كلام يثبت ذلك .

وقال الإمام السفاريني - رحمه الله - : « وبالشفاعة في جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم من الطاعات »[٣] .

ولكن في كلامه هذا رحمه الله لم يوضح نوع الشفاعة ، فقد تكون الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، وقد تكون الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ، ومن استوت حسناته وسيئاته أقرب ، والله أعلم .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق الألباني (ص٢٣٢) .
(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢ / ٢٠٤) .
(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١٢) .

المبحث الثالث

الشفاعة العامة

فالقصد من العموم أن الله ـ عز وجل ـ يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم ، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ـ ﷺ ـ ، ولغيره من النبيين والملائكة والصديقين والشهداء ، والصالحين ، وهي أن يشفع من أذن له بالشفاعة في أهل النار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا منها .

المطلب الأول

الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد في الخروج من النار

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإخراجهم من النار بشفاعة النبي ـ ﷺ ـ والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين ،ويخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله فلا يبقى في النار إلا الكافرون، وسنكتفي بذكر بعض الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة وسنفصل القول فيما بعد في مكانه بذكر الأدلة كاملاً وأقوال السلف وأئمة المسلمين في ذلك، فمن الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة ما ثبت في الصحيحين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد ـ ﷺ ـ فيأتوني فأقول : أنا لها فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمدهُ بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيُقال يا**

محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك ، وسلْ تُعط ، واشفع تُشفع ، فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مقال شعيرة من إيمان فانطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثمَّ أخر له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسلْ تُعط ، واشفع تُشفَّع ، فأقول : يارب أمتي أمتي فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فانطلق فأفعل ثمَّ أعود فأحمده بتلك المحامد ثمَّ أخر له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل ... قال ﷺ ثمَّ أعود الرابعة فأحمده بتلك ثمّ أخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع ، وسل تُعطه ، واشفع تُشفَّع ، فأقول يارب أئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول، وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال لا إله إلا الله »[1] .

فهذا الحديث وأمثاله التي ليس فيها التصريح بالشفاعة لأهل الكبائر فمن قال : (لا إله إلا الله) يشمل أهل الكبائر وغيرهم ممن لا يشرك بالله شيئاً .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « قوله : " أخرجوا من النار من كان في قلبه وزن كذا من الإيمان" إن معناه بعض من كان في قلبه قدر ذلك الوزن من الإيمان، لأن النبي - ﷺ - قد أعلم أنه يشفع ذلك اليوم أيضاً غيره ، فيشفعون »[2] .

وعن أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله - ﷺ -: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربّنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم** » إلى قوله - ﷺ - : (**فيأتوني فأستأذن على ربّي فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال**

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩ / ١٧٩- ١٨٠) ح ٧٥١٠ ، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ١ / ١٨٢) ح١٩٣ ، واللفظ للبخاري .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٢٧٨) .

ارفع رأسك سل تعطه ،وقل يسمع ،واشفع تشفّع ، فأرفع رأسي، فأحمد ربّي بتحميد يُعلمني، ثم أشفع فيحدُ لي حداً ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن، وكان قتادة يقول عند هذا أي وجب عليه الخلود »[١] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ـ ﷺ ـ قال: « **يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد ـ ﷺ ـ فيدخلون الجنّة يُسمون الجهنميين** »[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم** (أو قال بخطاياهم) **فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً ، أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبّة تكون في حميل السيل** ، فقال رجلٌ من القوم كأن رسول الله ـ ﷺ ـ قد كان في البادية »[٣] .

فهذا النوع من الشفاعة لا يختص بالرسول ـ ﷺ ـ ، بل هي عامة له ـ ﷺ ـ ولغيره من عباد الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً[٤] ، ولكن الرسول ـ ﷺ ـ هو المقدم فيها،فلا يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله ـ ﷺ ـ، فإنه يشفع في خلائق لا يعلم عدتهم إلى الله تعالى، وذلك كما مر معنا في بعض الأحاديث وكذلك ما سيأتي منها يوضح ويثبت ذلك في حقه ـ ﷺ ـ تشريفاً وتكريماً.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين

---

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨/ ١٤٤-١٤٥) ح ٦٥٦٥ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٨٠-١٨١) ح ١٩٣ واللفظ للبخاري .

(٢) رواه البخاري: كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٥) ح ٦٥٦٦ ، وأحمد في مسنده(٤ / ٤٣٤).

(٣) سبق تخريج الحديث ص ٨٧ .

(٤) في فصل شفاعة غير الرسول ﷺ .

أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة » [١] .

فخروج الموحدين من النار سواء من أصحاب الصغائر أو الكبائر دون الشرك هو قول أهل السُّنَّة والجماعة ثابت بآيات وأحاديث عدة مشهورة ،وذلك في حالة عدم استحلاله للكبيرة ، أمّا إذا استحلها فيخرج من الإسلام بسبب تحليله ما حرم الله ـ عز وجل ـ وحرمه النبي ـ ﷺ ـ في سنته .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : « والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي ـ ﷺ ـ » [٢] .

---

(١) الوابل الصيب ـ تحقيق / بشير محمد عيون (ص٣٤) مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا ، ودار المؤيد الطائف ـ السعودية ـ ط بدون .

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٤) .

المطلب الثاني
الشفاعة للأهل والأقارب

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ، ثم الأنصار،ثم من آمن بي واتبعني من اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم ، وأول من أشفع له أولو الفضل»[١].

وقال ـ ﷺ ـ : «أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف»[٢].

وعن أبي أمامة[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر »[٤] .

وعن أبي برزة[٥] الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: « إن

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٤٢١) برقم (١٣٥٥٠) ـ وقال الإمام الهيثمي : رواه الطبراني في المعجم الكبير وفيه من لم أعرفه ـ انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٠ – ٣٨١) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٧٣٢) .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) وقال : رواه البزار والطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٦٨٢) .

(٣) هو الصحابي الجليل : صُدَيّ بن عجلان بن الحارث بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، قيل إنه شهد أُحداً وشهد صفين مع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ثم سكن الشام حتى توفي بها سنة ٨٦هـ ، انظر الإصابة (٢ / ١٨٢) ترجمة رقم / ٤٠٥٩ ، أسد الغابة (٦ / ١٩) ترجمة رقم / ٥٦٨٨ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٥٩ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٤٣٧) رقم / ٢٩٣٤ .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٧ – ٢٦١ – ٢٦٧) وقال المنذري رواه أحمد بإسناد جيد (انظر الترغيب والترهيب (٤ / ٤٤٥) فصل في الشفاعة وغيرها ، والطبراني (٨ / ١٤٣) ح ٧٦٣٨ . وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة ـ انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) . والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ رحمه الله ـ برقم (٥٣٦٣) ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي في كتابه : الشفاعة (ص١٧١) وقال : والطريقان يكفيان في ثبوت الحديث .

(٥) هو الصحابي : أبو برزة ـ نضلة بن عبيد ـ وقيل نضلة بن عبد الله الأسلمي ، نزل البصرة ثم مرو ثم عاد إلى البصرة وبها توفي سنة ٦٠هـ وقيل ٦٥هـ على الصحيح ، انظر : أسد الغابة (٦ / ٣٤ ، ٣٥) ترجمة رقم / ٥٧١٩ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٠ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (٢ / ٢٤٧) رقم / ٧١٧٧ .

من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر ، وإن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها »[١] .

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر ، ويشفع الرجل في أهل بيته ويشفع على قدر عمله »[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن من أمتي من يشفع للفئام[٣] ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعُصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة »[٤] .

وفي لفظ أحمد : « وإن الرجل يشفع للثلاثة وللرجلين وللرجل »[٥] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤ / ٢١٢ ، ٥ / ٣١٣) واللفظ له . وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، والبخاري في التاريخ (٢ / ٢٦١) كنز العمال (١٢ / ١٥٨) ، ح ٣٤٤٧١ ، وابن ماجة : كتاب الزهد ، باب صفة النار ٢ / ١٤٤٦) ح ٤٣٢٣ ، وفي الزوائد : في إسناده عبد الله بن أقيش النخعي ، ذكره ابن حبان في الثقات . وقال : أحسبه الذي روى عنه أبو اسحاق عن ابن عباس . وقال : لم يرو عنه غير داود بن أبي هند ، وليس إسناده بالصافي . والحاكم في مستدركه (١ / ١٤٢) ح ٢٣٨ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وضعفه الألباني : انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥ / ١٤٠) برقم ٢١٢١ ، وضعيف الجامع رقم (٢٠٠٠) ، وقال الشيخ مقبل : فقول الحاكم صحيح على شرط مسلم .. وقول الحافظ في الإصابة إن سنده صحيح ، ليس بصحيح ، بل هو حديث ضعيف ، والله أعلم . انظر : الشفاعة ص ١٧١ .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١-٣٨٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي غالب وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف .

(٣) الفئام : الجماعة الكثيرة ـ انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٤٠٦) .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣ / ٢٠-٦٣) والترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢ منه (٤ / ٥٤١) ح ٢٤٤٠ وقال : هذا حديثٌ حسنٌ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢ / ٦٣٦) ، وكنز العمال (١٢ / ١٥٨) ح ٣٤٤٧٢ ، ومشكاة المصابيح (٣ / ١٥٥٨) ح ٥٦٠٢ ، وقال الألباني : إسناده ضعيف ، وحسنة : الشيخ مقبل . الشفاعة ص ١٦٨ (ولعله حسنه بمجموع طرقه) . وذكر الهيثمي نحو هذا وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح : (وإن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة ..) انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) .

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣ / ٢٠) .

وقال ـ ﷺ ـ : « ويشفع الرجل منهم للرجال من أهل بيته ، فيدخلون الجنة بشفاعته »[١] .

وخلاصة القول في هذا الفصل أن الشفاعة يوم القيامة تتكرر مراراً وتتفاوت على حسب درجة الشافع أو المشفوع له فمنها :

[أ] المتفق على خصوصيتها للنبي - ﷺ - :

كالشفاعة العظمى وهي لأهل الموقف جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، وهي الشفاعة لفصل القضاء ، والشفاعة لأهل الجنة ليدخلوها وهو عبارة عن الإذن من الله ـ عز وجل ـ في استفتاح باب الجنة لأهلها ،والشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، وشفاعة الرسول ـ ﷺ ـ لعمه أبي طالب خاصة دون سائر الكفار ، ومنها خصوصيته ـ ﷺ ـ في تأجيل الدعوة لأمته إلى يوم القيامة .

[ب] ومنها المختلف في خصوصيتها به - ﷺ- دون غيره :

كالشفاعة لقوم استوجبوا النار بأعمالهم فلا يدخلونها ، والشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ، والشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

[ج] ومنها العامة لـه - ﷺ - ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، والأعمال الصالحة ، كالشفاعة للأهل والأقرباء ، والشفاعة في أهل الكبائر .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « إرضاء الله تعالى نبيه محمداً ـ ﷺ ـ في الشفاعة يوم القيامة مرة بعد أخرى حتى يقر بأنه قد رضي بما قد أُعطى في أمته من الشفاعة »[٢] .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - : « فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته ـ ﷺ ـ ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها ، من حين يجتمع الناس للحشر ، وتضيق بهم الحناجر ، ويبلغ منهم العَرَقُ والشمس والوقوف

---

(١) رواه أحمد في مسنده(٣ / ٦٣)،وابن خزيمة في كتاب التوحيد(٢ / ٧٤٧)عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) كتاب التوحيد لإبن خزيمة (٢ / ٦٧٢) .

مبلغه [١] ، وذلك قبل الحساب ،فيشفع حينئذ لإراحة الناس في الموقف ، ثم يوضع الصراط ، ويحاسب الناس ..... فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة ، ثمّ يشفع فيمن وجب عليه العذاب ، ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ، ثم فيمن قال : لا إله إلا الله » [٢] .

والشفاعة لا تكون من الشافع إلا في الوقت الذي يأذن الله تعالى فيه بالشفاعة لا قبل ذلك ، فبعضهم يأذن الله له في الشفاعة بعد الحساب مباشرة ، وبعضهم يكون الإذن في الشفاعة له بعد مدة من العذاب ، وبعضهم بعد مدة من العذاب أطول . والله تعالى أعلم .

---

(١) مبلغه : نهايته .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٠١) .

الفصل الثاني

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيـــــد :

المبحث الأول : الكبيرة لغةً وشرعاً ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الكبيرة لغة .
- المطلب الثاني : الكبيرة في الاصطلاح الشرعي .

المبحث الثاني : حكم أهل الكبائر ، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : حكم أهل الكبائر عند أهل السُّنَّة والجماعة .
- المطلب الثاني : حكم أهل الكبائر عند الخوارج .
- المطلب الثالث : حكم أهل الكبائر عند المعتزلة .
- المطلب الرابع : حكم أهل الكبائر عند المرجئة .

المبحث الثالث : الشفاعة في الكبائر ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : ثبوت شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر .
- المطلب الثاني : الكبائر المأذون بالشفاعة فيها .

الفصل الثاني

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

تمهيد :

من حكمة الله ـ عز وجل ـ أن خلق الإنسان ناقص الكمال ، ومن ذلك عدم العصمة إلا ما ورد في ذلك للأنبياء ، فقد يرتكب العبد الذنوب والمعاصي سواء كبيرة أو صغيرة ، فلا يسلم أحد منها ، فجعل الله ـ عز وجل ـ أبواباً لإخراج العبد المسلم العاصي من ذنوبه وآثامه وجعل مكفرات لها منها :

التوبة ، والاستغفار ، وفعل الحسنات ، والأذى الذي يصاب به المؤمن في نفسه وماله وأهله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم** »[١] .

فمن هذا الحديث تظهر الحكمة وهي : معرفة العبد افتقاره إلى ربه ـ عز وجل ـ عند ارتكابه للذنوب والمعاصي ، وإظهار رحمة الله ـ عز وجل ـ بعباده في قبول المغفرة وتكفير السيئات عند الرجوع إليه والمعصية هي بداية الطريق إلى النار والعياذ بالله ـ ولذلك فإن التوبة على الله ـ تعالى ـ تقتضي أقصى غايات الإقلاع عن الذنب ، والاعتذار إلى الله ـ تعالى ـ والاعتصام بالصراط المستقيم .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « إن حقيقة التوبة هي الندم على ما سلف ، والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل »[٢] .

---

(١) رواه مسلم : كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، توبة (٤ / ٢١٠٦) ح ٢٧٤٩ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٠٩) .

(٢) مدارج السالكين (١ / ١٨٢) .

فالتوبة فرض دائم على كل مسلم على قدر استطاعته لقوله تعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)** ﴾ [النور : ٣١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** » (١) .

والتوبة لا يلزم أن تكون من ذنب معين فأصلها هو الرجوع إلى الله تعالى ، وهذا يتضمن الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بأمره والاهتداء بهديه .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « فإن حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك مايكره » (٢) .

فخطورة الذنوب كلها كبيرها وصغيرها ثابت بقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)** ﴾ [الأنعام : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي** ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ ، **قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى** » (٣) .

فهذه نصوص عامة تدل على أن المعاصي شأنها كبير كلها ، وذلك لأنها ما بين إثم ، وظلم ، وفاحشة ، وفسق ، وضلال ، وكفر ، ولذلك فالمعصية أياً كان نوعها توجب الخوف والحذر من أن تكون سبباً للوقوع في الفتنة ، أو الوقوع في عذاب

---

(١) رواه البخاري : كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (٨ / ٨٣) ح ٦٣٠٧ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٤١) وغيرهما .

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٠٥)

(٣) رواه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ ... (٩ / ١١٤) ح ٧٢٨٠ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٦١) وغيرهما .

أليم كما ذكر الله تعالى ، وذكر النبي ـ ﷺ ـ .

فالمعصية تضر صاحبها بغض النظر عن كبرها أو صغرها ، ولكن يكون الضرر تبعاً لكبر المعصية ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] .

فالحذر من التهاون في فعل الصغائر أمر مطلوب من العبد ، فالاستصغار للذنب والإقدام عليه ذنب عظيم في غاية الكبر ، لأنه من جهة الاعتقاد مخالف لأصول الإسلام ، ومن جهة العمل هو بداية الطريق إلى عظيمتين :

الأولى: الإصرار على المعصية وهذا من الكبائر .

الثاني : الاستخفاف بأحكام الشريعة ، وهذا يصل إلى درجة الكفر في كثير من الأحيان ، والعياذ بالله تعالى .

والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر ، ولكن لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، لقوله ـ ﷺ ـ: **«إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه »** [١] .

قال الإمام الصنعاني - رحمه الله - : ووجه الدلالة أن مُحقرات الذنوب إن كانت من الكبائر فالواحدة مهلكة فيضيع مقصود الحديث، وإن كانت صغائر فلا يمكن اجتماعُها لأنها مغفورةٌ البتة بحسب اجتناب الكبائر، وإن كان مع الإصرار فلا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١ / ٤٠٢)، (٥ / ٣٣١) (٦ / ٧٠ ، ١٥١)،والبيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٤٥٦) ٧٢٦٧ تحقيق / محمد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، شرح السُّنَّة للبغوي ـ تحقيق / شعيب الأرنؤوط (١٤ / ٣٩٩) ح ٤٢٠٣ الكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م)، والطبراني في الأوسط (٧ / ٢١٩) ح ٧٣٢٣، من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٩٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة .وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١ / ٦٧٤) برقم / ٣٨٩ ، وقال وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

صغيرة مع الإصرار على ما رُوِي[١] وهو وفق كلام المتكلمين فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١] .

نحو قوله ـ ﷺ ـ : (سدّدوا وقاربوا وأبشروا)[٢] .

وتكون الحكمة في عدم تمييز الصغائر من الكبائر إرادة اجتناب كلٍّ منهما ، والتحفظُ عن العصيان رأساً بقيد الطاقةِ البشرية شبيهةٌ بالحكمة في إخفاء ليلة القدر في رمضان .. »[٣] .

(١) كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الكبائر سبع هي ؟ ، قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار . انظر جامع البيان للطبري (٤ / ٤٤) برقم / ٩٢٠٨، والدر المنثور للسيوطي (٢ / ٥٠٠) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل (٨ / ١٢٣) ح ٦٤٦٧ ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين واحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى (٤ / ٢١٧١) ح ٢٨١٨ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ـ تحقيق / حلاق (٤٨٧ – ٤٨٨) .

المبحث الأول

الكبيرة لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول

الكبيرة لغةً

الكِبْر : الإثم الكبير ، وما توعَّد الله عليه النار .

والكِبَرةُ كالكِبْر : التانيث على المبالغة .

وفي التنزيل العزيز: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ [النجم: ٣٢] .

وفي الأحاديث ذكر الكبائر في غير موضع ، واحدتها كبيرة ، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً لعظيم أمرها ،كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغيرها[١] ، والكبيرةُ : متعارفةٌ في كل ذنب تعظمُ عقوبتهُ والجمع الكبائر[٢]

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥ / ١٢٩)

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٤٢١) ، كتاب الكاف .

المطلب الثاني
الكبيرة في الاصطلاح الشرعي

اختلف العلماء في تعريفها فبعضهم يعبر عن جانب منها من خلال الاستدلال ببعض النصوص دون بقيتها ، وحاول البعض الآخر أن يأتي بتعريف شامل ، فقالوا في ذلك ما يلي :

[١] الكبيرة هي : الموجبة للحد ، وقيل ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة[١] .

[٢] وقيل : هي ما وجبت فيه الحدود ، أو توجه إليها الوعيد [٢] .

[٣] وقيل : هي كل معصية أوجبت الحد[٣] .

[٤] وقيل هي كل ذنب أوعد فاعله بالنار[٤] .

[٥] وقال الإمام الغزالي[٥] – رحمه الله – : « هي كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف ووجدان ندم ، تهاوناً واستجراء عليها فهي كبيرة ، وما يحمل على فلتات النفس ولا ينفك عن ندم يمتزج بها وينغص التلذذ بها فليس

---

(١) قول الإمام الرافعي في كتابه الشرح الكبير ، انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٢٤) .

(٢) قول الإمام الماوردي في كتابه الحاوي ، انظر : فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٢٤) .

(٣) قول الإمام البغوي ، انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر / لابن حجر الهيثمي(١ / ٦) دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط بدون .

(٤) قول الحسن البصري ، وابن جبير ، ومجاهد ، والضحاك . انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر (١ / ٧) .

(٥) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي ، برع في الفقه وأصوله وعلم الكلام وغير ذلك وله مصنفات فيها ، ولد سنة ٤٥٠هـ (بطوس في خراسان وتوفي سنة ٥٠٥هـ ، وقد كان منتمياً إلى الأشعرية في طريقته الكلامية ، له مصنفات عدة ، منها : (إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، الاقتصاد في الاعتقاد ، المنقذ من الضلال) وغير ذلك . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي (٦ / ١٩١ وما بعدها) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٩ / ٣٢٢ ومابعدها) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢١٦-٢١٩) ، تبيين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢٩١-٣٠٦) ، الأعلام / للزركلي (٧ / ٢٢)

بكبيرة » [١] .

واعترض على هذا التعريف ، لأنه يشمل صغائر وليست بكبائر ، وكذلك يرد على هذا التعريف أن من ارتكب كبيرة من الكبائر ، المنصوص عليها كالزنا مثلاً لا يشمله التعريف إن صَاحَبَ فعله الخوف أو الندم .

[٦] وذكر الإمام الطبري في تفسيره تعريف الكبائر عداً استناداً إلى ما ذُكر من أحاديث النبي ـ ﷺ ـ بقوله : « وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ، ما صح به الخبر عن رسول الله ـ ﷺ ـ دون ما قاله غيره، ... ، فالكبائر إذاً: الشرك بالله، وعقوق الوالدين.. » [٢] .

[٧] وعرّفها إمام الحرمين بقوله : « كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقاقة الديانة [٣] » .

[٨] **وقال العز بن عبد السلام - رحمه الله - :** « إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقلّ مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر » [٤] .

[٩] وقيل : « والتحقيق أن الكبيرة كل ذنب قرن به وعيد أو لعن بنص كتاب أو سنة أو علم مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو لعن أو أكثر من مفسدته ، أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك » [٥]

[١٠] وقيل : « كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه » [٦]

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١ / ٧) .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٤ / ٤٦) عند تفسير سورة النساء آية / ٣١ .

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٢٩) .

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (١ / ٢٠) ـ مؤسسة الريان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

(٥) نقلاً عن الزواجر عن اقتراف الكبائر (١ / ٩) .

(٦) فتح الباري لابن حجر : كتاب الأدب (١٠ / ٤٢٤) .

[١١] وقال الإمام النووي – رحمه الله – : « وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقد اختلفوا في ضبطها اختلافاً كثيراً منتشراً جداً ، فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب » ونحو هذا عن الحسن البصري » .

وقال ابن الصلاح [١] : « لها أمارات منها : إيجاب الحد ، ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها من الكتاب أو السُّنَّة ،ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً ، ومنها اللعن » [٢] .

[١٢] وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – : « والصحيح إن شاء الله تعالى أن كُلَّ ذنبٍ أطلق الشرع عليه أنه كبير أو عظيم ، أو أخبر بشدَّة العقاب عليه ، أو علّق عليه حدّاً ، أو شدّد النكير عليه وغلّظه، وشهد بذلك كتابُ الله أو سنّة أو إجماع، فهو كبيرة » [٣] .

[١٣] وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – :« قال ابن عباس : الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب .وقال ابن مسعود رضي الله عنه : الكبائر ما نهى الله عنه في هذه السورة[٤] إلى ثلاث وثلاثين آية . وقال سعيد[٥] بن جبير :

---

(١) هو أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الشهر زوري الكردي الشرخاني تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح :أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، ولد في شرخان (قرب شهر زور)سنة ٥٧٧هـ ،وانتقل إلى الموصل ثم إلى خرسان ثم إلى بيت المقدس ثم إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ ، له مصنفات،منها(مقدمة ابن الصلاح، والفتاوى) وغير ذلك .انظر: وفيات الأعيان /لابن خلكان (٣ / ٢٤٣-٢٤٥)،سير أعلام النبلاء(للذهبي ٢٣ / ١٤٠)شذرات الذهب / لابن العماد (ج٥ / ٢٢١) المجلد الثالث،الأعلام / للزركلي (٤ / ٢٠٧).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (ج٢ / ٨٥) المجلد الأول .

(٣) المفهِمْ لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ـ تحقيق / محي الدين مستو وآخرون (١ / ٢٨٤) .

(٤) يُقصد بها سورة النساء .

(٥) سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو عبد الله: تابعي ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، ولد سنة ٤٥هـ قتل على يد الحجاج سنة ٩٥هـ ، قال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه) . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٤ / ٣٢١) وما بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر (٣ / ٣٤٩) برقم ٢٢٨٥ ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٩٣) .

كل ذنب نسبه الله إلى النار هو كبيرة وقال جماعة من أهل الأصول : الكبائر كل ذنب رتب الله عليه الحدّ أو صرح بالوعيد فيه » [١] .

[١٤] وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « الكبيرة هي : ما يترتب عليها حدٌ أو تُوعِّد عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب ، والصغيرة هي : ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة » [٢] .

وما ذكرنا عن الإمام النووي والقرطبي وابن الصلاح وابن أبي العز الحنفي والشوكاني هو يعتبر من أشهر التعريفات ، وأجمعها وأشهرها تعريفاً هو تعريف الإمام القرطبي رحمه الله ، كما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر وقال : « من أحسن التعاريف » [٣] وذكره الإمام الذهبي [٤] كذلك [٥] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : أن هذه التعريفات المشهورة المتقاربة اللفظ والمعنى صائبة لعدة اعتبارات من أهمها :

[١] أنها تشمل كل ما ثبت في النصوص أنه كبيرة كالشرك ، والقتل ، والزنا ، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير ذلك من الكبائر التي فيها

---

(١) فتح القدير (١ / ٥٧٧) تفسير سورة النساء آية / ٣١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ـ بتحقيق الألباني - رحمه الله - (ص٣٧٠ - ٣٧١) .

(٣) فتح الباري لابن حجر : كتاب الحدود ، باب رمي المحصنات (٢١/ ١٩١) .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ ، مؤرخ ، علاّمة محقق تركماني الأصل ، من أهل ميافارقين ، مولده في دمشق سنة ٦٧٣هـ رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان ، وكفّ بصره سنة ٧٤١هـ . تصانيفه كبيرة وكثيرة تقارب المئة ، توفي بدمشق سنة ٧٤٨هـ ، من مصنفاته : (تاريخ الإسلام ٣٦ مجلداً ، سير أعلام النبلاء ٢٥ مجلداً ، تذكرة الحفاظ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، كتاب الكبائر) وغير ذلك . انظر فوات الوفيات / محمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق : إحسان عباس (٣/ ٣١٥-٣١٧) ، ديوان الإسلام / لشمس الدين محمدبن عبد الرحمن بن الغزي ـ تحقيق سيد كسروي حسن (٢/ ٣٠٩-٣١١) برقم ٩٧٠ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٣٢٦) .

(٥) كتاب الكبائر للإمام الذهبي- تحقيق / محي الدين مستو (ص١٩) . مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ـ سوريا ، وبيروت ـ لبنان، مكتبة دار التراث ـ المدينة المنورة ـ السعودية - ط الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

عقوبات مقدرة،ويشمل أيضاً ما ورد فيه الوعيد كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس وشهادة الزور، ويشمل كل ذنب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة وما قيل فيه منْ فَعَلهُ فليس منّا ،وما ورد من نفي الإيمان عمّن ارتكبه كقوله ـ ﷺ ـ :«**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..**»[١] فكل من نفى الله عنه الإيمان والجنة أو كونه من المؤمنين فهو من أهل الكبائر، لأن هذا النفي لا يكون لترك مستحب ، ولا لفعل صغيرة ، بل لفعل كبيرة .

[٢] أنه المأثور عن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة (كابن عباس ، وابن عيينه[٢] ، وابن حنبل) وغيرهم .

[٣] أن المستحق للحد له ذنب يستحق العقوبة عليه .

[٤] أن مرجعه إلى ما ذكره الله ـ عز وجل ـ ورسوله ـ ﷺ ـ في الذنوب ، فهو حد يتلقى من خطاب الشارع

[٥] أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر .

[٦] أن الله تعالى قال: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] ، فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير

---

(١) رواه البخاري : كتاب المظالم والغصب ، باب النُهبى بغير إذن صاحبه (٣/ ١٧٨) ح ٢٤٧٥ ، كتاب الأشربه ، الباب الأول(٧/ ١٣٦) ح ٥٥٧٨، وكتاب: الحدود ، باب لا يشرب الخمر ، والسارق حين يسرق (٨/ ١٩٥-١٩٧) ح٦٧٧٢ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بالمعاصي (١/ ٧٦) ح ٥٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عُيينه بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي ، من الموالي ، من تابعي التابعين ، ولد بالكوفة عام ١٠٧هـ ،وسكن البادية وتوفي بها ، كان حافظاً ، فقيهاً ، واسع العلم ، كبير القدر ، محدث الحرم ، قال الشافعي :((لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز)) له:(الجامع في الحديث ، وكتاب في التفسير) توفي عام ١٩٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٨ / ٤٥٤ وما بعدها) ، غربال الزمان في وفيات الأعيان / ليحيى بن أبي بكر العامري الحرضي اليماني . صححه وعلق عليه : محمد ناجي زعبي العمر (ص١٨٥) ـ دار الخير للنشر والتوزيع ـ دمشق ـ سوريا ـ ط بدون (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٣٧١) برقم / ٢٤٥٨ ، الأعلام / للزركلي (٣ / ١٠٥) .

السيئات ، واستحقاق الوعد الكريم . وكل من وعد بغضب الله أو لعنته ، أو نار أو حرمان جنة ، أو ما يقتضي ذلك ، فإنه خارج عن هذا الوعد ، فلا يكون من مجتنبي الكبائر .

وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد ولم يُقم عليه الحد ، لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر . إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه ، والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه [١] .

« ومن تتبع الذنوب التي أطلق عليها أنها كبائر وجدها أكثر من السبعين ، فكيف إذا تتبع جميع ما جاء عليه الوعيد الشديد في الكتاب والسُّنَّة من اتباعه بلعنة أو غضب أو عذاب أو محاربة أو غير ذلك من ألفاظ الوعيد فإنه يجدها كثيرة جداً » [٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٦٥١ - ٦٥٥) بتصرف واختصار ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الالباني - رحمه الله - (ص٣٧١) .

(٢) انظر : أعلام السُّنَّة المنشورة لحافظ بن أحمد حكمي (ص٢٠٨ ، ٢٠٩) .

المبحث الثاني
حكم أهل الكبائر

وقع النزاع بين الفِرَق في الحكم على أهل الكبائر ، هل يستحقون أن يوصفوا بالإيمان المطلق أو بعض منه أو الكفر أو بين ذلك ، وذلك راجع إلى أن مسائل الإيمان التي وقع النزاع فيها بين الفِرَق ، وهي تعريف الإيمان وحده ومن ثمّ دخول الأعمال فيه وعدمه ، وزيادة الإيمان ونقصانه ، وحكم أهل الكبائر ، ومسألة الاستثناء في الإيمان وعدمه ترجع إلى أصل واحد هو .

هل الإيمان حقيقة واحدة أو شيء واحدٌ أو أنه يتبعض ويتجزأ .

فقالت الخوارج والمعتزلة : إن الإيمان حقيقة واحدة فإذا ذهب بعضه ذهب باقي الإيمان . ولهذا أوجبوا ذهاب الإيمان عن مرتكب الكبيرة ، والقول بعدم زيادته ونقصانه في هذه الحالة .

وضدهم فرق المرجئة : ومنهم الجهمية الذين يُسمَّون غلاة المرجئة ، جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتبعض وهو مجرد المعرفة أو التصديق بالقلب كقول الجهمية ، أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة سوى الجهمية .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وأصل نزاع هذه الفِرَق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه .

فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه كما قال النبي ﷺ : « **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان ...** » [1] » .

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٥١٠) ، ومنهاج السُّنَّة (٥ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) بتحقيق / محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيميه ، القاهرة ـ مصر ـ ط الثانية (١٤٠٩هـ) ، وانظر نحوه : مقالات الإسلاميين / للاشعري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (١ / ٢١٤) المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

أما أهل السُنَّة والجماعة فيقولون حيث نقص الايمان يحكم عليه ،

[١] فمنه ما إذا زال بعضه زال الإيمان كله كاصول الإيمان :من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره واليوم الآخر، وماهو معلوم من الدين بالضرورة .

[٢] ومنه ما إذا زال بعضه زال كمال الإيمان لا أصله وحقيقته ، مثال زوال شعب الإيمان الأخرى التي دون الأصول السابقة ، وقد ورد في ذلك أدلة كثيرة تبين نقص الإيمان وزيادته كقوله تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] ، ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وأهل السُنَّة كانوا أسعد الناس بمرافقة النصوص ، لأنهم داروا مع النص،وسلموا وأذعنوا لما فيه وعملوا بجميع الأدلة من الكتاب والسُنَّة ، حيث وفقوا بين ما قد يظهر منها التعارض ، بخلاف أهل الأهواء والبدع الذين أخذوا من النصوص ما يوافق مذاهبهم وردوا ما يعارضها بنفي أو تاويل .

وما يلي من مطالب سيكون توضيحاً لحكم أهل الكبائر عند كل طائفة أو فرقة على إنفراد .

المطلب الأول
حكم أهل الكبائر عند أهل السُّنة والجماعة

لمعرفة مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في أهل الكبائر لابد أن نذكر شيئاً من الأدلة المنصوص عليها ، ومن أقوال أئمة السلف في ذلك .

فقد تواترت النصوص الدالة على الحكم في أهل الكبائر ، بعدم كفرهم وعدم خلودهم في نار جهنم إذا دخلوها بسبب معاصيهم وذلك في حالة عدم الاستحلال للذنب سواءٌ كان كبيراً أو صغيراً . وهذا يعتبر من الأصول المجمع عليها عند أهل السُّنَّة والجماعة فمن ذلك :

الأول : نصوص تدل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨] .

فهذه الآية أظهر الأدلة من القرآن على قول السلف وأقواها في إثبات أن ما دون الشرك من الذنوب تحت المشيئة .

قال ابن جرير- رحمه الله -: « وقد أبانت هذه الآية أنَ كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، مالم تكن كبيرته شركاً بالله »[١] .

وذكر في كتابه التبصير قول أهل السُّنَّة والجماعة في الحكم على أهل الكبائر قولهم: « هم مؤمنون غير أنهم لمّا ركبوا من معاصي الله فاجترحوا الذنوب في مشيئة الله إن شاء عفا عنهم بفضله فأدخلهم الجنة، وإن شاء عاقبهم بذنوبهم ، فإنه يعاقبهم بقدر الذنب ثم يُخرجهم من النار بعد التمحيص فيدخلهم الجنة »[٢] .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٤ / ١٢٩) تفسير سورة النساء / ٤٨ .

(٢) التبصير في معالم الدين / لابن جرير ـ تحقيق / علي بن عبد العزيز الشّبل (ص١٨٠) ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « وظاهره أن المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلاً منه ورحمة وإن لم يقع من ذلك المذنب توبة »[١] .

فمن مات مشركاً لم يتب منه استحق الخلود في نار جهنم ، ومن تاب قبل موته فإن الله غفورٌ رحيم. لقوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال: ٣٨] .

وقال - ﷺ - لمعاذ رضي الله عنه : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله - عز وجل - أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً »[٢] .

وعن أبي ذر[٣] رضي الله عنه قال : قال - ﷺ - : يقول الله - عز وجل- : « ..... **ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً ، لقيتُهُ بمثلها مغفرةً** »[٤] .

(فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض ، وهو ملؤها أو ما يقارب خطايا لقيه الله - عز وجل - بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله - عز وجل - فإن شاء غفر له ، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة)[٥].

ثانياً : نصوص فيها التصريح بعدم دخول الموحد النار أو خلوده فيها - إن دخل - مع تصريحها بارتكابه الكبائر ، منها :

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - أنه قال : « **أتاني جبريل عليه السلام ، فبشرني أنه من مات من أُمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة**، قلت : وإن زنى وإن سرق؟، **قال**

---

(١) فتح القدير (١ / ٦٠٠) تفسير سورة النساء آية / ٤٨ .

(٢) رواه البخاري : كتاب اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل (٧ / ٢١٨) ح ٥٩٦٧ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/ ٥٨) ح ٣٠ ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه واللفظ لمسلم .

(٣) هو الصحابي الجليل : أبو ذر الغفاري المشهور ، الصادق اللهجة ، مختلف في اسمه واسم أبيه ، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن ، وقيل : برير بن عبد الله ، وبرير بن جنادة ، والمشهور جندب بن جناده قيس بن عمرو من بني غفار ، من السابقين إلى الإسلام ، قصة إسلامه في الصحيحين ، مات في الربذة سنة ٣١هـ ، طبقات ابن سعد (٤/ ٢١٩) ، الإصابة (٤/ ٦٢-٦٤) ترجم رقم / ٣٨٤ ، أسد الغابة (٦/ ١٠٦-١٠٨) ترجمة رقم/ ٥٨٦٢ ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦ وما بعدها) .

(٤) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٤ / ٢٠٦٨) ح ٢٦٨٧ ، وأحمد في مسنده (٥/ ١٤٧-١٤٨-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٦٧-١٦٩-١٧٢-١٨٠) وغيرهما .

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٣٧٤) - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط بدون .

ـ ﷺ ـ : وإن زنى وإن سرق »[١] .

ثالثاً :نصوص فيها التصريح ببقاء الأخوة الإيمانية وبقاء الإيمان مع ارتكاب الكبائر،منها:

قول الله تعالى :﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات :٩] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة :١٧٨] .

فاستدل أهل السُّنَّة على أن المؤمن لا يكفر بارتكابه الكبائر لأن الله سبحانه وتعالى ـ سماه مؤمنًا ووصفهم بالأخوة ويقصد بها الأخوة الإيمانية .

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : « ودل قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَخِيهِ ﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام »[٢] .

فوجه الدلالة من هذه الآيات على أن فاعل الكبيرة لا يكفر لأن الله سمى المقتول أخاً للقاتل، مع أن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب عند الله عز وجل .

رابعاً : نصوص واردة في إقامة الحد على مرتكب الكبيرة :

كحد السرقة ، وشرب الخمر ، والزنا ،والقذف ،والحرابة ، وغيرها فهذا دليل قوي في عدم تكفير مرتكب الكبيرة فلو كانوا كفاراً لما كانت العقوبة على حسب ارتكاب الكبيرة إمّا القصاص أو الجلد أو الرجم أو القطع أو النفي وغيرها .

ولكن الرسول ـ ﷺ ـ بَيَّن الفرق في حد المرتد عن الإسلام وغيره من الحدود الأخرى لمرتكبي الكبيرة غير الكفرية ، فجعل حد المرتد عن الإسلام القتل بينما حد مرتكبي الكبائر متفاوته ، وما كان فيها حده القتل كالقاتل عمداً فقد يخفف ويحول إلى الدية عند عفو الولي عنه ، فلو كان القتل كفراً ما كان للولي عفو ولا أخذ الدية ولزمه القتل لقوله ـ ﷺ ـ : « **من بدل دينه فاقتلوه** »[٣] .

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة (٩ / ١٧٤) ح٧٤٨٧) ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك ب الله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار (١ / ٩٤) ح٩٤ ، واللفظ له .

(٢) زاد المسير في علم التفسير (١ / ١٨٠) .

(٣) رواه البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ، باب حكم المرتد والمرتدة (٩ / ١٩)ح ٦٩٢٢ وأحمد في مسنده (١ / ٢١٧-٢٨٢-٢٨٣-٣٢٣، ٥ / ٢٣١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وأما أقوال أئمة السلف في ذلك فقد نصت على عدم كفر مرتكب الكبيرة إذا لم يستحل ذلك .

« فكان علماءُ التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمنٌ لما فيه من معرفته بالرُسل والكتب المنزَّلة من الله تعالى، ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حقٌ،ولكن فاسقٌ بكبيرته وفسقه لا ينفى عنه اسم الإيمان والإسلام. وعلى هذا القول مضى سلفُ الأمة من الصحابة وأعلام التابعين » [١] .

قال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله .. : « ولا نكفر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسميه مؤمناً حقيقة ، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر » [٢] .

وقال أبو عبيد [٣] **- رحمه الله** - : « أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً ، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله » [٤]

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « ومذهب أهل السُنَّة والجماعة : أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة ، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وهذا الثواب » [٥] . اهـ.

---

(١) الفرق بين الفرَق للبغداد ي (ص٩٧ – ٩٨) بتصرف يسير ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان ط الرابعة (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م) .

(٢) كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، شرح الملا على القاري (ص١٠٢– ١٠٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م) .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي ، ولد في هراة سنة ١٥٧هـ ، أحد الأئمة الحفاظ، له تصانيف في فنون كثيرة ، منها : (غريب الحديث ، مشكل القرآن ، الإيمان) وغير ذلك ، توفي سنة ٢٢٤هـ بمكة . انظر : وفيات الاعيان / لابن خلكان (٤ / ٦٠–٦٢) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٠ / ٤٩٠ وما بعدها) ، طبقات الشافعية / للسبكي (٢ / ١٥٣ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ١٧٦) .

(٤) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ضمن اربع رسائل مجموعة) ـ تحقيق / الالباني ـ دار الارقم ـ الكويت– ط الثانية (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) .

(٥) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٧٩) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « وأما قوله - ﷺ -: « وإن زنى وإن سرق » فهو حجة لمذهب أهل السُّنَّة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار ، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة »[١] .

ويقول - رحمه الله تعالى - أيضاً وهو يروي مذهب أهل السُّنَّة في الموحدين :

« واعلم أن مذهب أهل السُّنَّة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ..... وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى - فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول وإن شاء عذبه القدْر الذي يريده -سبحانه وتعالى- ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل »[٢] .

وقال الإمام الأشعري - رحمه الله - : « وأهل السُّنَّة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر »[٣] .

وقال الإمام الطحاوي[٤] - رحمه الله - : « ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ، مالم يستحله »[٥] .

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم : (ج٢ / ٩٧) المجلد الأول .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم : (ج١ / ٢١٧) المجلد الأول .

(٣) مقالات الإسلاميين - تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد (١ / ٣٤٧) .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي ، إمام ، حافظ ، فقيه ، ولد سنة ٢٣٩هـ في طحا (من صعيد مصر) صنف كتباً كثيرة منها : (عقيدته المشهورة ، شرح معاني الآثار ، مشكل الآثار) وغير ذلك ، توفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٢٧-٣٢) ، الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية / لعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي (١ / ٢٧١-٢٧٧) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٢ / ٢٨٨) المجلد الأول، والاعلام / للزركلي (١ / ٢٠٦) .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق / الألباني (ص٣١٦) .

ويقول شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « إن أهل السُّنَّة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفُر كفراً ينقل عن الملة بالكلية »[١] .

وقال الإمام الصابوني[٢] - رحمه الله - : « ويعتقد أهل السُّنَّة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يُكفَرُ بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله ـ عزوجل ـ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار وإن شاء عاقبه وعذّبه مدةً بعذاب النار ، وإذا عذّبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار »[٣] .

وقال الإمام البغوي[٤] - رحمه الله - : « اتفق أهل السُّنَّة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها ، وإذا عَمِل شيئاً

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – تحقيق / الألباني (ص٣٢١) .

(٢) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمدبن إسماعيل بن عابد الصابوني، ولد في نيسابور سنة ٣٧٣هـ ، تولى الوعظ وهو في العاشرة من عمره ، كان بالغاً في العفاف والسداد وصيانة النفس ، معروفاً بحسن الصلاة وطول القنوت ، كان سيف السُّنَّة وأفعى على أهل البدعة ، من مصنفاته : (الفصول في الأصول ، الانتصار ، عقيدة السلف أهل الحديث) وغيرها ، توفي بنيسابور سنة ٤٤٩هـ . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي (٤ / ٢٧١-٢٩٢) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) المجلد الثاني ، البداية والنهاية / لابن كثير)ج١٢ / ٨١) المجلد السادس ، الأعلام / للزركلي (١ / ٣١٧) .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ـ تحقيق بدر بن عبد الله البدر (ص٨٦) ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ السعودية – ط الثانية (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) .

(٤) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، الفقيه الشافعي ، يعرف بابن الفراء أو الفراء ، ويلقب بمحيي السُّنَّة ، نسبته إلى بغا من قرى خراسان بين هراة ومرو ، ولد عام ٤٣٦هـ ، هو فقيه ، محدث ، مفسر ، وكان جليلاً ورعاً زاهداً ، توفي عام ٥١٠هـ في مرو الروّذ ، وقد جاوز الثمانين ، ولم يحج ، له عدة مصنفات، منها : (معالم التنزيل – في التفسير ، الجمع بين الصحيحين – في الحديث ، التهذيب – في الفقه الشافعي ، شرح السُّنَّة) وغيرها . انظر: طبقات المفسرين/ للداودي (١ / ١٥٧-١٥٩) ، تذكرة الحفاظ/ للذهبي (٤ / ١٢٥٧) ، الأعلام/للزركلي (٢ / ٢٥٩).

منها ، فمات قبل التوبة ، لا يُخلّد في النار ، كما جاء به الحديث ، بل هو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ، ثمّ أدخله الجنة برحمته » [١] .

وقال الإمام ابن بطه [٢] العكبري - رحمه الله - : « وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه من الإسلام بمعصية، نرجو للمحسنين ، ونخاف على المسيء » [٣] .

وقال الإمام بن أبي الخير [٤] العمراني - رحمه الله - : « ومذهب أهل السُّنَّة أن الموحدين لا يكفرون بفعل شيء من المعاصي الصغائر والكبائر ، وإذا عملوا الكبائر وتابوا لم تضرهم ، وإن ماتوا قبل التوبة منها فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم عليها وإن شاء غفرها لهم ، وإن عذب العباد على الصغائر لم يكن ظالماً لهم بذلك » [٥] .

---

(١) شرح السُّنَّة للإمام البغوي ـ تحقيق / شعيب الأرناؤط (١ / ١٠٣) .

(٢) هو الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطه العكبري الحنبلي ، عالم بالحديث فقيه من كبار الحنابلة ولد بعكبرا سنة ٣٠٤هـ رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث ، ثم لزم بيته أربعين سنة حتى توفي سنة ٣٨٧هـ ، قال عنه الذهبي : ((كان صاحب أحوال وإجابة دعوة رضي الله عنه)) له عدة مؤلفاته منها : (كتاب الشرح والإبانة، رسالة في إبطال الحيل) وغيرها . انظر: طبقات الحنابلة/ لأبي يعلي (٢/ ١٤٤-١٥٢) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٦/ ٥٢٩) وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٤/ ١٩٧).

(٣) الشرح والإبانة على أصول السُّنَّة والديانة ، للإمام عبيد الله محمد بن بطة العكبري ، تحقيق / د . رضا معطي (ص٢٦٥) ـ المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ـ السعودية ـ ط بدون (١٤٠٤هـ) .

(٤) هو يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن عبد الله بن محمد بن موسى ابن عمران العمراني ، أبو الحسين ، فقيه كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن، ولد في مصنْعَة سَيْر (بلدة من أعمال إب في اليمن) سنة ٤٨٩هـ ، وتوفي في ذي السفال من محافظة إب سنة ٥٥٨هـ ، مبطوناً شهيداً ، وله مصنفات ، منها : (الزوائد على المهذب ، والبيان ـ في الفقه الشافعي ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار) وغير ذلك . انظر : طبقات فقهاء اليمن / لابن الجعدي (ص١٧٤-١٨٤) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ تحقيق : فؤاد سيد / ط الثانية (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، طبقات الشافعية / للسبكي (٧/ ٣٣٦-٣٣٨) ، الأعلام / للزركلي (٨/ ١٤٦) .

(٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ـ تحقيق / د. سعود بن عبد العزيز الخلف (٣ / ٦٦٦) ـ أضواء السلف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

وقال الإمام [١] **أبو محمد اليمني** ، وهو يتكلم عن عقيدة السلف والرد على أهل البدع في مرتكب الكبائر والحكم عليه : « والذي عندنا أنه فاسق لأنه يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات : ٦] .

فلو كانوا كفاراً كما ذكر هؤلاء[٢] لما قال ﴿ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ لأنه لا ندم على الكافر »[٣] .

وقد ذكر كثير من المصنفين من أئمة أهل السُّنَّة والجماعة وعلمائهم أقوالاً كثيرة جداً تبين حكم مرتكب الكبيرة ، واكتفينا بما ذُكر ، هذه الأقوال في حالة عدم استحلال الذنب من مرتكبه .

وما ورد من نصوص[٤] في الكتاب أو السُّنَّة على إطلاقه بلفظ الكفر أو الشرك

---

(١) من علماء اليمن في القرن السادس الهجري ، لم يعرف إلا بكنيته ونسبته ، ساهم إسهاماً طيباً في بيان عقائد الفرق الضالة ، وخاصة الإسماعيلية ، فلم يؤلف أحد من السلف مثله في زمانه ومكانه في هذا الباب مع توخي الصواب والبعد عن الهوى ، وكان لقربه منهم وكثرة قراءته ، ومعرفة رموزهم أسباب لمعرفتهم ، وفضح معتقداتهم ، ولعل هذا السبب الذي ادى به إلى إخفاء إسمه ولقبه ، كان راسخ العلم غزير الإطلاع في شتى فنون المعرفة والعلم . انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الاديان / لابي الفضل السكسكي ـ تحقيق د: بسام العموش (ص٨٢-٨٣) مكتبة المنار ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير (ص٧٢٤) ـ إدارة ترجمان السُّنَّة ـ ط الأولى ، اليمن عبر التاريخ / أحمد حسين شرف الدين (ص١٩٦ ، ١٩٧) .

(٢) يقصد بهم : الخوارج فهم يُكفرون المسلم بمجرد ارتكابه للكبيرة .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لابي محمد اليمني ـ تحقيق ودراسة / محمد عبد الله زربان الغامدي (١ / ٢٩٨) ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .

(٤) مثال :

[أ] قوله ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ،رواه البخاري ح ٦٠٤٤ ومسلم ح ٦٤ من حديث ابن مسعود.

[ب] قوله ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..) رواه البخاري خ / ٥٥٧٨ ومسلم ح / ٥٧ . قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ (فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الالفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال : لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل ولا عيش إلا عيش الآخرة) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج٢ / ٤١) المجلد الأول .

[ج] قوله ﷺ : (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) رواه مسلم ح/ ٤٦ ، وقوله ﷺ : (لا يدخل الجنة نمّام) مسلم ، ح/ ١٠٥ .

على بعض المعاصي فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون أنه كفر دون كفر ، ويقصد بذلك تشبه مرتكب المعصية بالكافرين والمشركين بفعله .

ومن النصوص ما أولت بكفر النعمة ، أو ما ورد فيه نفي الإيمان فيقصد به نفي كمال الإيمان ، أو الإيمان الواجب وليس أصل الإيمان ، أو نفي دخول الجنة عمن ارتكب كبيرة فيقولون : ما دام موحداً فالنفي يحمل على عدم الدخول ابتداءً أو يحمل على مستحل للفعل ، وتقابل هذه النصوص مع أحاديث من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

فعند ذلك يتضح جلياً من هذه الأقوال والنقول أن مرتكب الكبيرة عند أهل السُّنَّة إذا لم يكن مستحلاً [١] لها بالفعل أو الاعتقاد ليس بكافر ولكن « يعتبر مؤمناً ناقص الإيمان ،أو مؤمن بإيمانه فاسقًا بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق للإيمان، ولا يسلب مطلق اسم الإيمان » [٢] فيكون نقص الإيمان بقدر ما ارتكب من معصية، فيقولون معه مطلق[٣] الإيمان ، لا الإيمان المطلق فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية إن شاء الله غفر له وعفا عنه من أول وهلة وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه لكن لا يخلد في النار ، بل يخرج منها بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين.

وهذا ما يجب على العبد المسلم اعتقاده كونه المعتقد الحق دون سواه ، وبه يثاب العبد عند الله ـ عز وجل ـ .

---

(١) أن عامل الكبيرة يكُفُر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرَّم الله ورسوله ـ ﷺ ـ ولو لم يعمل به لأنه حينئذ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول ﷺ وذلك كُفْر بالكتاب والسُّنَّة والإجماع . فمن جحد أمراً مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة فلا شك في كفره .

(ولا نكفر بالمعاصي مؤمناً إلا مع استحلاله لما جَنى)

انظر: معارج القبول في شرح سلم الأصول إلى علم أصول التوحيد (تحقيق / عمر أبو عمر) (٣ / ١٠٤٠) .

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيميه (٣ / ١٥٢) بزيادة يسيرة .

(٣) الفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء :أن الشيء المطلق يعني به الكمال (أي أصله وكماله موجود)، ومطلق الشيء يعني أصله لكن كماله مفقود .

المطلب الثاني
حكم أهل الكبائر عند الخوارج

يتفق عامّة الوعيدية (*) من الخوارج والمعتزلة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر ، وعلى تعريف الكبيرة ولكنهم يختلفون في الحكم على أصحابها في الدنيا ويتفقون في الحكم عليه في الآخرة، وأيضاً هي تعتبر مدار خلاف طويل بين أهل السُّنَّة والجماعة والوعيدية (الخوارج والمعتزلة) .

فالخوارج كانت في بداية الأمر فرقة واحدة ثم تفرقت إلى فرق شتى ، وكل فرقة قد تحتوي على فروع وأقسام وذلك لما ينشأ بينهم من خلاف في الآراء والمعتقدات فيفترقون ، فكبار فرق الخوارج[١] ست : (الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والعجاردة ، والإباضية ، والثعالبة ، والباقون فروعهم)[٢] .

فالخوارج يقولون : إن مرتكب الكبيرة يحكم عليه في الدنيا بالكفر لفعله الكبيرة، دون النظر إلى موانع التكفير الذي ينظر إليها أهل السُّنَّة ، كالجهل ، والخطأ، والإكراه ، والتأويل ، والتقليد .

يقول الإمام الرازي[٣] **:** « سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً

(*) سموا وعيديه : لأنهم يقولون بأحكام الوعيد دون أحكام الوعد ، أي : يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد ، ليخرجو فاعل الكبيرة من الإيمان .

(١) سياتي التعريف بالخوارج وفرقها في الباب الثالث ، إن شاء الله تعالى .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ـ تعليق / احمد فهمي محمد (١ / ١٠٧) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ، بزيادة يسيرة ، وانظر مقالات الإسلاميين / لابي الحسن الاشعري (١ / ١٦٨) .

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، فخر الدين الرازي أبو عبد الله ، ولد سنة ٥٤٤هـ في الرّي ، فقيهاً أصولياً ، عالماً رياضياً ، فيلسوفاً ، كان إماماً في الفلسفة وعلم الكلام يقال له ابن خطيب الرّي ، وكانت له مدرسة يُدرس فيها ، ويُعد من أهم رؤساء الأشاعرة ، توفي سنة ٦٠٦هـ ، من مؤلفاته : مفاتيح الغيب في التفسير ، لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات ، معالم أصول الدين ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) وغيرها . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٤٨) ترجمة رقم / ٦٠٠ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢١ / ٥٠٠ ، ٥٠١) ، الأعلام / للزركلي (٦ / ٣١٣) .

بالذنب » [١] . وفي الآخرة يكون من أصحاب النار خالداً فيها إن مات ولم يتب من كبيرته التي ارتكبها ، وهذا في الحكم العام المشهور عندهم ، « فهم يكفّرون أصحاب الكبائر، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً ، إلا [النجدات] » [٢] .

وقد يجد الناظر فيما ذُكر عنهم من أقوال في مرتكب الكبيرة أنها متعددة وقد تكون متباينة في بعضها ، وذلك على حسب افتراقهم وطوائفهم ، فمن أقوال هذه الفرق والطوائف ما يلي :

أولاً : الإباضية :

قالت : « الإيمان جميع الطاعات ، فمن ترك منها شيئاً صغيرة كانت أو كبيرة كفر كفر نعمة لا كفر شرك إلا إن غفرت ، واحتجوا بقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٨] » .

قالت : « إن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها » [٣] .

وقالت في مرتكب الكبيرة : « إنهم موحدون لا مؤمنون » [٤] ، « وأن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَرَ كُفْر النعمة لا كفر الملة » [٥] .

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ـ تحقيق / محمد المعتصم ب الله البغدادي (ص٤٩) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٠٧) بتصرف ، ومقالات الإسلاميين/لأبي الحسن الأشعري (١ / ١٦٨) ، والتبصير في معالم الدين للإمام بن جرير الطبري (تحقيق / علي بن عبد العزيز الشُبل (ص١٧٧) .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ـ تحقيق / محمد بن عبد الله زربان الغامدي (١ / ٢٩٦) ، مقالات الإسلاميين (١ / ١٨٩) ، والإيمان لأبي عبيد (ضمن أربع رسائل ـ بتحقيق الألباني (ص١٠١ ، ١٠٢) ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٦٣ ، ٦٤) .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣١) .

(٥) الملل والنحل (١ / ١٣٢) ، الفرق بين الفِرَق للبغدادي (ص٩٧) ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (ص٣٢٤) ، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٧) .

ومن فروع هذه الفرقة ما يلي :

[أ] اليـــزيديـــة :

تقول: « إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون ، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك »[١] .

[ب] الحفصيـــة :

تقول: « إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة ، وهي معرفة الله تعالى وحده، فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب ، أو قيامه ، أو جنة ، أو نار ، وارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر ، لكنه بريء من الشرك »[٢] .

[ج] الحـــارثيـــة:

من أقوالها: « كل ذنب صغيراً أو كبيراً ولو كان أخذ حبة خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار ، إلا أن يكون من أهل بدر فهو كافر مشرك من أهل الجنة ، وهذا حكم طلحة[٣] والزبير[٤]

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣٣) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم ـ تحقيق عميره (٥ / ٥٥) شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، والملل والنحل للشهرستاني(١ / ١٣٢).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي ، أبو محمد ، صحابي جليل ، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ﷺ ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، شهد أحداً وغيرها ، وقتل في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ ، وهو ابن ٦٣ عاماً . انظر : الإصابة لابن حجر (٢ / ٩٢٢) برقم ٤٢٦٦ ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٤٥١) برقم ٣٠٣٨ .

(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي أبو عبد الله ، حواري رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفيه بنت عبد المطلب ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، أسلم صغيراً في الثانية عشرة من عمره ، هاجر الهجرتين ، شهد بدراً وما بعدها ، وشهد اليرموك وقُتل شهيداً في موقعة الجمل في شوال سنة ٣٦هـ قتله عمرو بن جرموز غدراً ، وله ٦٦ سنة أو ٦٧ سنة ﷺ ، انظر: الإصابة / لابن حجر ١ / ٥٤٥ - ٥٤٦) ، أسد الغابة / لابن الأثير (٢ / ٢٩٥-٢٩٨) ترجمة رقم ١٧٣٢سير أعلام النبلاء / للذهبي (١ / ٤١وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٣١٠) برقم / ٢٠٠٨ .

ـ رضي الله عنهما ـ عندهم »[١] .

ثانياً : الأزارقـــة :

« اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الإسلام جملة ، ويكون مخلداً في النار مع سائر الكفار »[٢] .

وبهذا قالت : المكرمية من الثعالبة ،والصفرية ، والبيهسية وأكثر الخوارج .

ثالثـــاً : الصفريـــة :

ولقد انقسمت إلى ثلاث فرق :

[١] فرقة تقول بأن مرتكب الكبيرة كافر ومشرك وألحقوا بذلك صغار المعاصي[٣].

[٢] وأخرى تقول : « لا يُشهدُ عليه بأنه كَفَرَ حتى يرفع إلى السلطان ويُحَدّ عليه ، فإذا حُدّ عليه فهو كافر »[٤] .

[٣] وأخرى تقول : « ما كان من الأعمال عليه حد واقع ، فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف ، فيسمى زانياً سارقاً قاذفاً لا كافراً مشركاً ، ومن كان من أهل الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة فإنه يكفر بذلك »[٥] وبه قال بعض البيهسية .

رابعاً : النجـــدات :

لهـم قـــولان :

[١] أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل /لابن حزم ـ تحقيق عميره (٥ / ٥٦) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١١٦)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١ / ١٧٠) الإرشاد إلى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد ، لأبي المعالي الجويني (ص٣٢٤) .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة/ لأبي محمد اليمني (١ / ٢٩٦) – والإيمان لأبي عبيدة (ضمن أربع رسائل) تحقيق / الألباني (ص١٠٢) .

(٤) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الاشعري (١ / ١٩٧) .

(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ١٨٣) – والملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣٤) – والفرق بين الفرَق للبغدادي (ص٥٦) .

[٢] يُكفرون المصر على الذنب سواء كان الذنب صغيراً أو كبيراً ، ولا يكفّرون غير المُصرّ وإن عمل الكبائر إذا كان من موافقيهم [١] .

وقالوا : « إن أصحاب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه كافر مشرك ، وصاحب الذنب الذي اختلفت الأمة فيه على حكم اجتهاد أهل الفقه فيه ، وعذروا مرتكب مالا يعلم بجهالة تحريمه إلى أن تقوم الحجة عليه فيه » [٢] .

خامساً : العجـــاردة :

يكفّرون بالكبائر[٣] ، ومن أقوال هذه الفرقة وما تفرَّع عنها : « زعموا أن من أتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه ، وبتلك الجهالة كَفَر ، لا بركو به المعصية » [٤] .

سادساً : الثعالبة ، منها الفضيلية :

جعلوا المعاصي كلها ما غفر منها وما لم يغفر كفراً وشركاً ، وقالوا : « لأن الله جل ثناؤه لو عذبهم عليها كان غير ظالم ، لقوله تعالى : ﴿ **لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾** ﴾ [الليل : ١٥-١٦] » [٥] .

سابعاً : ومن فرق الخوارج الحسينية :

يقولون فيمن خالفهم : « إنهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون » [٦]

ثامناً : جماعة التفكير والهجرة :

تشارك جماعة التكفير والهجرة الخوارج في منهجها ومعتقدها ، فهم يكفرون

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ١٧٥) وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١ /١٨٨-١١٩) والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ـ تحقيق / عميره (٥ / ٥٣) - والفرق بين الفِرَق للبغدادي (ص٥٥، ٥٦) .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (٩٧) ، (١١٩) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٢٤) .

(٤) مقالات الإسلاميين للاشعري (١ / ١٨٢) - والفصل في الملل والاهواء والنحل / لابن حزم (٥ / ٥٥) .

(٥) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لابي محمد اليمني (١ /٢٩٦) ، والإيمان لابي عبيد (ضمن رسائل أربع) تحقيق الالباني (ص١٠٢) .

(٦) مقالات الإسلاميين للاشعري (١ / ١٩٨) .

كل من ارتكب معصية واصر عليها ولم يتب منها ، ويكفرون الحكام لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله [١] ،ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بهم وتابعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله ، وهم يكفرون علماء المسلمين وغيرهم وكل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله فهو كافر عندهم ، ومن بايع إمامهم ودخل في جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو لآخر تركها فهو مرتد حلال الدم عندهم ، وكل الجماعات الإسلامية الأخرى إذا بلغتها دعوتهم ولم تحلّ نفسها لتبايع إمامهم فهي كافرة مارقة ، بل والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية .

وهكذا أسرف هؤلاء في التكفير فكفروا الناس أحياءً وأمواتاً وبالجملة ، مع أن

---

(١) الحكم بغير ما أنزل الله ينظر إليه من جهتين : الجهة الاولى : من جهة الحكم على الفعل ، وهو ينقسم إلى قسمين هما : القسم الأول : الحكم على الفعل بانه كفر أكبر ، مثل الجحود لما أنزل الله أو التشريع من دون الله أو الحكم بغير ما أنزل الله من القوانين والتحاكم إليها وإلزام الناس بها ، أو التبديل ولو لحكم واحد من أحكام الشريعة . القسم الثاني : الحكم على الفعل بانه كفر اصغر ، وهو في حالة ان يكون حكم الله هو الحكم السائد ولكن تحصل المخالفة في الحالات الجزئية والحوادث الواقعة في الحكم بغير ما أنزل الله ، كمجاملة الحاكم المحكوم عليه لمنصب أو جاه أو رشوة أو نحو ذلك ، بشرط ان يصاحبها إقرار واعتراف بشريعة الله تعالى . الجهة الثانية : من جهة الحكم على الفاعل ، لا يخلو حاله من ثلاثة احتمالات ، وهي :

الأول : ان يكون جاهلاً بلزوم الالتزام بالشريعة والتحاكم إليها . مثال : جهلة في لزوم إتباع الرسول ﷺ ، والالتزام بالشريعة إجمالاً ، فهو كافر كفراً أصلياً . لان من شروط تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله العلم بمدلولها الذي هو تصديق الرسول ﷺ والالتزام بالشريعة ، تصديقاً والتزاماً إجمالياً يقتضي التصديق والالتزام التفصيلي ، فهذا الأمر لا يعذر فيه أحد بجهل أو تاول أو إكراه ، فلا يثبت إسلام للمعين على الحقيقة إلا به . .

الثاني: ان يكون عالماً بذلك ، متعمداً رد الشريعة، غير جاهل ولا متاول ، فهو كافر لتوفر الشروط وانتفاء الموانع، ولا نظر هنا لكونه مستحلاً أو غير مستحل ، جاحداً أو غير جاحد .

الثالث : ان يكون عالماً بلزوم الإلتزام بالشريعة، لكنه يجهل ان فعله يتعارض مع أصل الالتزام بالشريعة، لعدم علمه بالحكم الشرعي في ذلك . ففي هذه الحالة لا بد من إقامة الحجة عليه ورد شبهته حتى يعلم ان ما يفعله هو رد لشريعة الله ، فإن اصر على فعله كَفَرَ لانه حينئذ يكون قد فعل ما فعل رداً ورفضاً للشريعة ، وهذا هو مناط التكفير هنا .انظر : الحكم بغير ما أنزل الله احواله واحكامه / د: عبد الرحمن المحمود (ص٣٣٠) ــ دار طيبة للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ السعودية ــ ط الأولى والثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، ضوابط التكفير عند أهل السُّنَّة والجماعة / عبد الله القرني (ص١٧١) .

تكفير المسلم أمر خطير يترتب عليه حل دمه وماله والتفريق بينه وبين زوجته وولده وقطع ما بينه وبين المسلمين ، لا يرث ولا يورث ولا يوالى ، وإذا مات لا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين ، وما هذه المعتقدات إلا نفسها معتقدات الخوارج[١] .

فمن خلال ما ذكرنا يتبين أن فرق الخوارج تتفاوت أقوالهم في الحكم على مرتكب الكبيرة في الحياة الدنيا ،ويجمع الخوارج على افتراق مذاهبها في تكفير عليَ وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين[٢] ومن صوَّبهما أو صوَّب أحدهما أو رضي بالتحكيم[٣] .

وكذلك اتفاقهم على أن مرتكب الكبيرة إن مات ولم يتب منها أنه في النار خالداً مخلداً فيها ولا تنفعه شفاعة الشافعين أو غيرها .

ومنْ أكثر استدلالاتهم احتجاجهم بعمومات الوعيد ، وسنوضح ذلك ونوردها في مكانها[*] مع المناقشة والرد عليها .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا أنهم كفار مخلدون في النار »[٤] .

---

(١) ظاهرة الغلو في التكفير ، الدكتور / عبد الفتاح شاهين (ص١٦ ، ١٧) انظر : ظاهرة الغلو في التكفير / للدكتور / يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الثالثة (١٤١١هـ - ١٩٩١م) ، وانظر : ظاهرة التكفير شبهات وردود ، للدكتور / عبد الفتاح شاهين (ص٨-١٠) ـ دار الإسراء ـ ط الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م) ، والصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، يوسف القرضاوي (ص٥٤ ، ٥٥) مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٥ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) .

(٢) عمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبي سفيان ، أبو موسى الأشعري من قبل علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين -

(٣) الفرق بين الفِرقَ للبغدادي (ص٥٦) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٦٣-٦٤).

(*) الفصل الخامس من الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

(٤) الفرقان بين الحق والباطل ـ تحقيق / عبد القادر الأرناؤوط (ص٢٤) مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ سوريا وبيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .

وقالوا : « إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين »[١] .

فخلاصة القول من أقوالهم السابقة :

أن مرتكب الكبيرة كافر ، على اختلاف في ذلك عند البعض ، هل يكون كفراً مخرجاً من الملة أم كفر نعمة ، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها، فإن الله لا يغفر الكبائر لمرتكبيها إلا إذا تابوا منها قبل الموت .

فعصاة الموحدين من أهل الكبائر ـ عندهم ـ مخلدون في النار أبد الآبدين ، وهذا معتقد باطل ينافي أدلة كثيرة وردت في الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف من أهل السُّنَّة والجماعة كما سبق توضيح ذلك في مذهب أهل السُّنَّة في الحكم على مرتكب الكبيرة .

(١) مقالات الإسلاميين / للاشعري (١ / ٢٠٤) .

المطلب الثالث

حكم أهل الكبائر عند المعتزلة(*)

لقد تكلمت المعتزلة في الحكم على أهل الكبائر تفصيلاً في الدنيا والآخرة ، فقالوا : بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق ، فهو بمنزلة بين المنزلتين(**)، أي منزلة بين الإيمان والكفر ، فليس بمؤمن ولا كافر ، وهذا حكمه في الدنيا .

قال القاضي عبدالجبار(١) ـ رحمه الله ـ في كلامه عن مذهب المعتزلة في مرتكب الكبيرة : « إن صاحب الكبيرة لا يسمّى مؤمناً ولا كافراً ، وإنما يسمى فاسقاً »(٢) .

وقال رحمه الله : « صاحب الكبيرة له اسم بين الإسمين ، وحكم بين الحُكمين لا يكون اسمه اسم الكافر ، ولا اسمه اسم المؤمن ، وإنّما يسمّى فاسقاً ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ، بل يفرد له حكم ثالث ، وهذا الحكم الذي ذكرناه ، هو سبب تسمية المسالة بالمنزلة بين المنزلتين ، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان ، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن ، بل منزلة بينهما »(٣) .

(*) سيأتي التعريف بالمعتزلة في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

(**) أصول المعتزلة الخمسة هي : العدل ـ التوحيد ـ والوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي ، تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ، كان شافعياً على مذهب الأشاعرة ثم تحول إلى الاعتزل ، له مؤلفات تشكل أهمية كبرى في الفكر الاعتزالي، منها : (تثبيت دلائل النبوة ، العمد ، المغني، تنزيه القرآن عن المطاعن ، شرح الأصول الخمسة ، فضل الاعتزال ، طبقات المعتزلة) توفي سنة ٤١٥هـ . انظر : ميزان الاعتدال / للذهبي ـ تحقيق : علي محمد البجاوي (٢ / ٥٣٣) برقم / ٤٧٣٧ ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ٢٤٤-٢٤٥) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) المجلد الثاني ، الأعلام للزركلي (٣ / ٢٧٣) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (٧٠١ ، ٧٠٢) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (٦٩٧) .

ويقول القاسم الرسي- رحمه الله - [١] : « كل من أتى كبيرة من الكبائر أو ترك شيئاً من الفروض المنصوصة على الاستحلال لذلك فهو كافر مرتد حكمه حكم المرتد ، ومن فعل شيئاً من ذلك اتباعاً لهواه وإيثاراً لشهواته كان فاسقاً فاجراً ما أقام على خطيئته » [٢] .

ويقول أبو سعيد الجشمي [٣] **البيهقي - رحمه الله - :** « والفاسق منزلة بين هاتين المنزلتين لا تجري عليهم أحكام الكفار ولا أحكام المؤمنين ، ولا يسمى باسم الكفار ولا باسم المؤمنين فهم فساق فجار » [٤] .

« فقد اتفقوا على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهي أنه فاسقٌ لا مؤمن ولا كافرٌ » [٥] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كلامه عن المعتزلة : « وفي الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها ،وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم » [٦] .

---

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني، العلوي ، أبو محمد المعروف بالرسي ، فقيه ، شاعر، من أئمة الزيدية ، ولد سنة ١٦٩هـ، وتوفي في الرس (وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة) سنة ٢٤٦هـ. من مؤلفاته : (كتاب أصول العدل والتوحيد) . انظر : الأعلام للزركلي (٥ / ١٧١) ، معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٢ / ٦٣٦) برقم ١٠٩٣٨ .

(٢) كتاب أصول العدل والتوحيد للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد))ص٢٨٣) ، قدم لها : سيف الدين الكاتب ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٣) هو المحسن بن محمد بن كرّامة الجشمي البيهقي ، أبو سعيد ، ويقال له الحاكم الجشمي ، مفسر ، عالم بالأصول والكلام ، حنفي ثم معتزلي فزيدي ، وهو شيخ الزمخشري ، ولد سنة ٤١٣هـ ، قرأ بنيسابور وغيرها ، واشتهر بصنعاء (اليمن) . وتوفي بمكة مقتولاً سنة ٤٩٤هـ له مؤلفات كثيرة ، منها : (تحكيم العقول ـ في الأصول ، الإمامة ـ على مذهب الزيدية) وغير ذلك . انظر : الأعلام / للزركلي (٥ / ٢٨٩) ، معجم المؤلفين / كحالة (٣ / ٢١) برقم / ١١٣٩٦ .

(٤) تحكيم العقول في تصحيح الأصول لأبي سعيد الحسن بن محمد بن كرامه الجشمي البيهقي ، تحقيق/ عبد السلام بن عباس الوجيه (ص٢٢٦)ـ مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ـ عمّان ـ الأردن ـ ط الأولى(١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٩٤) بتصرف يسير ، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٨) .

(٦) الفرقان بين الحق والباطل (ص٢٥) .

وقال أبو محمد اليمني - رحمه الله - في كلامه عن عقيدة المعتزلة : « وأما المعتزلة فإنهم قالوا : الإيمان بالقلب واللسان مع اجتناب الكبائر ، فمن قارف منها كبيرة ذهب عنه اسم الإيمان ولم يكن مؤمناً ولا كافراً »[١] .

ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً .

أما حكمهم على أهل الكبائر في الآخرة فيوافقون(*) الخوارج في الحكم فهو لايدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار .

قال ابن أبي الخير العمراني - رحمه الله - : « وقالت المعتزلة .... ومن فعل كبيرة فإنه يخلد في النار ، ولا يوصف الله بأنه يغفر الكبائر »[٢] .

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : « وأجمع أصحاب الوعيد من المعتزلة أن مَنْ أدخله الله النار خلّده فيها »[٣] .

فالكبائر عندهم لا تكفر عن صاحبها بل يجب أن يعاقب عليها وعقابه عليها والخلود في النار إلاّ أنهم خالفوا الخوارج في أن العذاب على مرتكب الكبيرة دون عذاب الكفار .

قال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : « والمعتزلة يقولون : إن عذابهم - أي مرتكبي الكبائر - ليس كعذاب الكافرين »[٤] .

ويقول القاسم الرسي - رحمه الله - : « ومن لم يتب من فسقه وظلمه فهو من

---

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٢٩٩) .

(*) قيل للمعتزلة انهم مخانيث الخوارج ، لان الخوارج لما رأوا لاهل الذنوب الخلود في النار ، المعتزلة رأت لهم ذلك ، انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٩٩) .

(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار (٣ / ٦٦٨) ، وشرح الأصول الخمسة (٦٣٢) وشرح العقيدة الطحاوية - تحقيق / الالباني (ص٣٧٠) ، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٨) .

(٣) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٤) ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١ /٣٩) ، وانظر الفرق بين الفرق (ص٩٨-٩٩) .

(٤) مقالات الإسلاميين (١ /٢٠٤) ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٣٩) .

أهل النار ليس بخارج منها ، ولكنه وإن كان في النار فليس عذابه كعذاب الكفار ، بل الكفار أشد عذاباً » (١) .

وقال أيضاً : « فإن مات عليها ـ أي كبيرة من الكبائر ـ غير تائب منها كان من أهل النار خالداً فيها وبئس المصير » (٢) .

فبهذا يتبين أن المعتزلة خالفوا الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة في الدنيا، ووافقوهم في الحكم عليه في الآخرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج » (٣) .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « وافقوا الخوارج في الحكم وخالفوهم في الإسم » (٤) .

وعلى ذلك فقول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين باطل لا يقره أهل السُّنَّة والجماعة ، وكذلك القول بتخليد صاحب الكبيرة في النار، لأنها بهذا المعتقد تنفي ما تواترت به النصوص ، وأجمع عليه السلف من أن أهل الكبائر غير مخلدين في النار .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله » (٥) .

---

(١) كتاب أصول العدل والتوحيد ، للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد) (ص٢٨٤) .

(٢) المصدر السابق (ص٢٨٣) .

(٣) الفرقان بين الحق والباطل(ص٢٥)،وانظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني(ص٣٢٥).

(٤) طريق الهجرتين ـ تخريج الأحاديث / عمر بن محمود أبو عمر (ص٥٦٨) ـ دار ابن القيم ـ الدمام ـ السعودية ـ ط الثانية (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

(٥) حادي الأرواح (ص٢١٧) .

المطلب الرابع

حكم أهل الكبائر عند المرجئة [١]

لقد قابل الخوارج والمعتزلة في مسألة الإيمان المرجئة فقالوا : الإيمان هو التصديق بالقلب ، وما عدا ذلك فليس من الإيمان ، ولهذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص

---

(١) **المرجئة** : هم الذين أرجئو العمل عن الإيمان وزعموا ان الإيمان هو التصديق بالقلب ومنهم من قال التصديق بالقلب واللسان ، وزعم البعض ان الإيمان هو المعرفة ، وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص ، وهم نحو اثنتي عشرة فرقة وأصنافهم أربعة: مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ، انظر : المقالات (١ / ٢٢٣ - ٢٢٨) ، الملل والنحل (١ / ١٣٩) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٩٣-٩٥) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين / عبد الله بن أسعد اليافعي ـ تحقيق د. موسى سليمان الدويش (ص١٣٢- ١٤١) دار البخاري ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٠هـ .

تختلف فرق المرجئة في تعريفها للإيمان إلى ثلاثة أقوال :

الأول : أن الإيمان مجرد المعرفة ، وبعضهم يقول المعرفة والتصديق ، ومن هؤلاء من يدخل عمل القلب كعامة فرق المرجئة ، ومنهم من لا يدخل ذلك . كجهم بن صفوان .

الثاني : أن الإيمان مجرد قول اللسان وهو ما انفرد به (الكرامية) دون سائر الفرق .

الثالث أن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء .

قال شيخ الإسلام في الثالث وهو يلخص هذا الخلاف : ((.. ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السُّنَّة في هذه المسألة هو نزاع لفظي ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول ، من الفقهاء : كحماد ابن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك ، ومن أتبعه من أهل الكوفة ، وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنّة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد ، وإن قالوا : إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون : إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرّمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب ، كما تقول الجماعة ، ويقولون ـ أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقول الجماعة ...) الإيمان (ص٢٨١ ، ٢٨٢) ، وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً: (والنزاع في هذا نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم) ـ الفتاوى (١٣ / ٨٣) ، وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً : (..... ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء ، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال ، لا من بدع العقائد ، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسُّنَّة هو الصواب ...) انظر كتاب الإيمان / لابن تيمية ـ تخريج الألباني (ص٣٧٧) .

وخلاصة ما نستفيده من هذا الإيضاح ما يلي :

[١] أن أكثر التنازع (وليس جميعه) بين الأئمة ومرجئة الفقهاء لفظي ، وفي الأسماء دون الأحكام.

[٢] أن هذا الخلاف وإن كان في الأصل لا يترتب عليه أثر عملي ، إلا أن شيخ الإسلام عدّه من بدع

عندهم ، فمن معتقدهم أنه لايضر مع الإيمان ذنب ، فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء ، ومرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان ، لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص وهو إما المعرفة، أو التصديق على اختلاف بينهمX ، وحصروا الكفر بالجهل والتكذيب ونحوه من الجحود والإنكار والعناد .

أما الحكم على مرتكب الكبيرة في الحياة الآخرة فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن غلاة المرجئة أنهم يقولون :« ولا يدخل النار من أهل التوحيد أحد »[١] .

فمذهب أهل السُّنَّة ينفي التأبيد في النار لمن دخلها من أهل التوحيد ، خلافاً لغلاة المرجئة فإنهم ينفون الدخول في النار لأهل التوحيد ، والأمر في هذا تحت مشيئة الله ـ عز وجل ـ إن شاء أدخل العصاة من أهل التوحيد وإن شاء عفا عنهم ، فهو على كل شيء قدير .

وذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - أنهم يقولون : « لا يُدرى ما يفعل الله بهم فيجوز أن يعذبهم كلهم ، وأن يعفو عنهم كلهم، وأن يعذب بعضهم ويعفو عن بعضهم ، غير أنهم لا يخلد أحد منهم في النار ، فجوزوا أن يلحق بعضهم بمن ترجحت حسناته على سيئاته »[٢] .

الأقوال والأفعال.

[٣] وسبب اعتباره من بدع الألفاظ ، عدولهم عن الألفاظ المطابقة للكتاب والسُّنَّة في مسالة دخول العمل في مسمى الإيمان ، ومسالة الزيادة والنقصان .. الخ .

[٤] أن هذا القول : فصار ذريعة وطريقاً استند عليه المرجئة المتكلمون ، ولذلك نجد بينهم تشابهاً في غامة استدلالهم (فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ ، سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال) . الإيمان (ص٣٧٧) .

[٥] أنه ذريعة إلى ظهور الفسق والمعاصي ، (... بان يقول : أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام ، وليٌّ من أولياء الله ، فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي) .. شرح الطحاوية .

ولذلك ندرك أن الأسلم والأصح أن لا يقال : إن الخلاف صوري أو لفظي بإطلاق ، فضلاً عن أن يقال : أن هذا الخلاف لا محذور فيه ، أو لا يترتب عليه فساد اعتقاد و الله أعلم .. نواقض الإيمان الاعتقادية / الوهيبي (١ / ١٧٤) .

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ١٨١) .

(٢) طريق الهجرتين (ص٥٦٨) .

وقال ـ رحمه الله ـ : « فإنهم يجوزون أن لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد »[١].

وذكر حافظ الحكمي[٢] رحمه الله قولاً لهم : « ولا يدخل النار أحدٌ بذنب دون الكفر بالكلية »[٣].

ويقولون : « أهل الكبائر من أهل التوحيد الذين وحّدوا وصدقوا رسول الله ـ ﷺ ـ وأقروا بشرائع الإسلام مؤمنون بإيمان جبريل وميكائيل ، وهم من أهل الجنّة .

وقالوا : لا يضرهم مع الإيمان ذنب، صغيرة كانت أو كبيرة كما لا ينفع مع الشرك عمل ، والوعيد إنما هو لأهل الكفر بالله ، والمكذبين بما جاء به رسوله ـ ﷺ ـ »[٤].

واستدل هؤلاء بمقابل ما استدل به أولئك من الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) إذ الوعيدية استدلوا بنصوص الوعيد ، والمرجئة بنصوص الوعد والرجاء .

وقد وقع غلاة المرجئة في خطأ كبير في حصرهم للكفر بالجهل والتكذيب ، فعلى قولهم هذا لو أن شخصاً قال للنبي ـ ﷺ ـ : « أنا أعلم أنك صادق ، لكن لا أتبعك ، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ، ولا أوافقك » ، لكان قوله ليس بكفر .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ فيمن قال هذا القول : (أنا أعلم ..) أنه كفر أعظم[٥] ويستلزم من قوله هذا أن من سب الرسول ـ ﷺ ـ ، أو سجد لصنم ، أو ألقى المصحف في القاذورات ليس بكافر ، والصحيح القول بكفره

---

(١) نفس المصدر (ص٥٧٠) .

(٢) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن. ولد في قرية (السلام) التابعة لمدينة المضايا ،جنوب جيزان سنة ١٣٤٢هـ ونشأ بها.. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله ، وألف كتباً كثيرة ، توفي بمكة سنة ١٣٧٧هـ ، من مؤلفاته :(الجوهرة الفريدة في العقيدة ، اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون ، معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، وأعلام السُّنة المنشورة) وغيرها . انظر :الأعلام/للزركلي (٢ / ١٥٩) ، معجم المؤلفين / كحالة (١ / ٥١٩) برقم / ٣٨٨٣ .

(٣) معارج القبول (٣ / ١٠٢٠) .

(٤) التبصير في معالم الدين للطبري (ص١٧٩) .

(٥) كتاب الإيمان/ لابن تيمية (ص٢٧٧) ، كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / لابن تيمية تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد (ص٥٢٠) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ، شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق الألباني (ص٣٣٨) .

عند الجميع .

ولعل من أعظم أسباب اضطرابهم وتناقضهم إخراج كثير منهم أعمال القلوب من مسمّى الإيمان ، ولذلك جعلوا الكفر هو التكذيب والجحود ، فلو أدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان لعلموا أنّه يستحيل ـ مثلاً ـ أن يسب المرء من أحبه وخضع واستسلم كالرسول ـ ﷺ ـ ، لأن المحبة والاستسلام والانقياد إكرام وإعزاز ، والسب والشتم إهانة وإذلال واستخفاف ، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام فلا يجتمعان [١] .

وذكر البغدادي[٢] عند بيانه لفرق المرجئة كلاماً لأحد مرجئة القدرية [٣] فقال :

« وزعم الصالحي أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل به فقط . وأن قول القائل أن الله تعالى ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر إلا من كافر ، .... ، والإيمان عنده خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص . وكذلك الكفر خصلة واحدة » [٤] .

فخلاصة القول فيما سبق في الحكم على مرتكب الكبيرة هو :

(أ) أن أهل السُّنَّة والجماعة قالوا : (إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وفي الآخرة : إن شاء الله غفر له وعفا عنه من أول وهلة وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه لكن لا يخلد في النار بل يخرج منها بشفاعة الشافعين، أو رحمة أرحم الراحمين .

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / لابن تيمية)ص٥١٩) ـ بتصرف .

(٢) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الشافعي ، الأشعري من أكبر تلاميذ أبي إسحاق الإسفرائيني ، ولد ونشأ في بغداد ، ومات بإسفرايين سنة ٤٢٩هـ وقد شاخ ، له تصانيف في النظر والعقليات وغيرها ، منها : (أصول الدين ، الفرق بين الفرق ، نفي خلق القرآن) وغير ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ٥٧٢ – ٥٧٣) ، طبقات الشافعية / للسبكي (٥ / ١٣٦ – ١٤٨) ، الأعلام / للزركلي ٤ / ٤٨) ، تبيين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٣) هذه الفرقة عند أهل السُّنَّة والجماعة أكفر أصناف المرجئة لأنها جمعت بين ضلالتي القدر والإرجاء ـ انظر الفرق بين الفِرَق للبغدادي ص١٩٣ .

(٤) الفرق بين الفِرَق للبغدادي (ص١٩٤ ، ١٩٥) ، ومقالات الإسلاميين للأشعري (١ / ٢١٤) .

(ب) **الخوارج قالوا :** بكفر مرتكب الكبيرة بمجرد ارتكابه للكبيرة ،وفي الآخرة : يكون مخلداً في النار .

(ج) **المعتزلة قالوا :** لا مؤمن ولا كافر ولكن في منزلة بين المنزلتين ،وفي الآخرة : اتفقوا مع الخوارج في خلوده في نار جهنم .

(د) **المرجئة قالوا :** إنه مؤمن كامل الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية ،وفي الآخرة : لا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية .

وسبب هذا الاختلاف هو التفريط والإفراط ، زيادة في الدين أو النقص منه ، فالتفريط هو التساهل في الدين ، والإفراط هو التشدد في الدين وكلاهما منهي عنه شرعاً وموقع في الأهواء ، والبدع ، فالتساهل إعراض ، والتشدد ابتداع .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وإنما جماع الشرِّ تفريط في حق أو تعدٍّ إلى باطل ، وهو تقصير في السُّنَّة أو دخول في البدعة ، كترك بعض المأمور وفعل بعض المحظور ، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل » [١] .

وقال ابن المرتضى اليماني (ابن الوزير) - رحمه الله - : « فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما » .. وذكر أنها « الزيادة في الدين بإثبات مالم يذكره الله تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ من مهمات الدين الواجبة ، والنقص منه بنفي ماذكره الله تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ من ذلك بالتأويل الباطل » [٢] . فبذلك يظهر تميز مذهب أهل السُّنَّة في الحكم على مرتكب الكبيرة وتوسطة بين الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) ، والمرجئة ، والتوفيق في الجمع بين النصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة وأقوال السلف ، وهو المذهب الحق الذي يجب على العبد المسلم الإيمان به ، واعتقاده والتمسك به .

---

(١) كتاب الصَّفدية ـ تحقيق د/ محمد رشاد سالم (١ / ٢٩٣) ـ ط / على نفقة أحد المحسنين (١٤٠٦هـ).

(٢) إيثار الحق على الخلق / لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني ابن الوزير (ص٨٦ ، ٨٧) .

المبحث الثالث

الشفاعة في الكبائر

المراد بالكبائر في هذا الموضع هو مادون الشرك بالله ـ عز وجل ـ من الذنوب والمعاصي، إذ النبي ـ ﷺ ـ قد أخبر أن الشرك من أكبر الكبائر وأخطرها على العبد، إذ قد يكون العبد المسلم يعمل من الصالحات ثم تصبح هباءً منثوراً بشركه بالله ـ عز وجل ـ ولكن في هذا المبحث نقصد بالكبائر مادون الشرك .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله -عند كلامه على حديث الشفاعة لأهل الكبائر : « إنما أراد أمته ، الذين أجابوه فآمنوا به ،وتابوا من الشرك »[1] .

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٦٥٨) .

المطلب الأول

ثبوت شفاعة الرسول - ﷺ - لأهل الكبائر

لقد ورد في هذا أدلة كثيرة عن النبي - ﷺ - منها في الصحيح ومنها في السنن والمسانيد ، وقد ذكرنا بعضاً منها فيما سبق ، وهي تدل على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر ومما يثبت ذلك أيضاً ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[1] .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - في معنى قوله - ﷺ - « لأهل الكبائر من أمتي » : « إنما أراد أمته الذين أجابوه فآمنوا به ، وتابوا من الشرك إذ اسم الأمة قد يقع على من بعث إليهم أيضاً ، أي أنهم أمته الذين بعث إليهم ، ومن آمن وتاب من الشرك فهم أمته في الإجابة ، بعدما كانوا أمته في الدعوة إلى الإيمان »[2] .

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢ / ١٦٢) ح ١٩٢٠ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط. بدون ، وأبو داود في سُننه : كتاب السُّنَّة ، باب الشفاعة (٥ / ١٠٦) ح ٤٧٣٩ . والترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة والرقائق الورع ، باب ١١ ، منه (٤ / ٥٣٩) ح ٢٤٣٥ ، وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه ، والإمام أحمد في مسنده (٣ / ٢١٣) ، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ٢ / ١٤٤١) ح ٤٣١٠ ، من حديث جابر رضي الله عنه ، وابن حبان في صحيحه (٨ / ١٣٢) بترتيب ابن بلبان برقم ٦٤٣٤ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤ / ٢٦١) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢ / ٦٥١) . وابن أبي عاصم في السُّنَّة : باب في ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر (٢ / ٣٩٩) ح ٨٣١ ، والآجري في كتاب الشريعة : باب ما روي أن الشفاعة إنما هي لأهل الكبائر (ص٣٠١) ، والحاكم في المستدرك : كتاب الإيمان (١ / ١٣٩) ح / ٢٢٨ - وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، والبيهقي في كتاب الإعتقاد - بتحقيق / أحمد بن ابراهيم أبو العينين (ص٢٦١) دار الفضيلة - الرياض ، ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، والصابوني في عقيدة السلف (ص٧٦) ، والإمام الالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦ / ١١٠١) ح ٢٠٦٦ ، وقال الحافظ ابن كثير : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، انظر : تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٣) ، وقال ناصر الدين الألباني - رحمه الله - : الحديث صحيح بطرقه ، انظر : كتاب السُّنَّة لابن أبي عاصم (٢ / ٣٩٩) ح / ٨٣٢ ، تخريج الألباني ، وانظر صحيح الجامع برقم / ٣٧١٤ ، وقد ذكر له طرقاً كثيرة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - تعالى ، منها حسن ، ومنها صحيح وغيرها ، انظر : كتاب الشفاعة (ص٨٥) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٦٥٨) .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ـ ﷺ ـ قال: « **يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد ـ ﷺ ـ فيدخلون الجنَّة يُسمون الجهنَّميين** »(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦]، قال: « **إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي** » فامسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا، ثم نطقنا به ورجونا »(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **خُيرت بين الشفاعة، وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطَّائين** »(٣).

وكذلك مما ينص على شفاعة الرسول ـ ﷺ ـ في أهل الكبائر الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها مارواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال الرسول ـ ﷺ ـ: « **لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً** »(٤).

---

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٥) ح٦٥٥٩، وأحمد في مسنده (٣ / ١٣٤- ٢٦٩) (٥ / ٣٩١).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦ / ١٠٦) برقم ٥٩٤٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٥)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حرب بن سريح وهو ثقة، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٣٧١٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٧٥)، (٤ / ٤٠٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤١)، من حديث أبي موسى الأشعري وابن عمر، وقال: البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه إسناده صحيح ورجاله ثقات، والصابوني في عقيدة السلف الصالح، و البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص٢٦٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦ / ١١٠٤) ح٢٠٧٤، وقال الإمام المنذري: رواه أحمد والطبراني، وإسناده جيد. انظر الترغيب والترهيب (٤ / ٤٤٧-٤٤٨)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير النعمان بن قراد، وهو ثقة. انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٨)، وقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ تعالى: الحديث صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم / ٣٣٣٥، وقال الشيخ مقبل: الحديث رجاله رجال الصحيح. انظر: الشفاعة (ص٦٩-٧١).

(٤) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب الأول (٨ / ٨٢) ح٦٣٠٤، ورواه مسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١ / ١٨٩) ح١٩٩، واللفظ له، وأحمد في مسنده (٢ / ٢٧٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « يُدخلُ الله أهل الجنة الجنة ، يُدخلُ من يشاءُ برحمته ، ويُدخلُ أهل النار النار ، ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حُمماً قد امتحشوا ، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا [١] ، فينبتون فيه كما تنبت الحبَّةُ إلى جانب السَّيل ، ألم تروها كيف تخرُجُ صفراءَ ملتويةً » [٢] .

وعن أنس عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « يخرجُ من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيره من خيرٍ ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّةٍ من خيرٍ ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرةٍ من خيرٍ ، وفي رواية من " إيمان " مكان " من خير " » [٣] .

وغيرها من الأحاديث الصريحة والمنصوص فيها على خروج الموحدين من النار بعد أن يأخذوا عذابهم بقدر ذنوبهم ويكون خروجهم بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين سواءً كانوا من أهل الكبائر أو دون ذلك من الذنوب .

قال الإمام البيهقي - رحمه الله - : « والأحاديث في مثل هذا كثيرة ، والمراد بها والله أعلم إثبات الجنة له في العاقبة ، ونفي التخليد عنه في العقوبة ، ثم منْ أهل التوحيد من يغفر له ابتداءً من غير عقوبة ، ومنهم من يعاقب على ذنبه مدّة ثم تكون عاقبته الجنة ..... فالمعاصي التي هي دون الشرك وإن عظمت لا تبلغ مبلغ الشرك ، ولا توجب لصاحبها التخليد في النار .

---

(١) الحيا هو المطر ، سمي حيا لأنه تحيا به الأرض ، وكذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون وتحدُث فيهم النضارة ، كما يُحدث ذلك المطر في الأرض . النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٤٧٢) وانظر : صحيح مسلم الحاشية (١ / ١٧٢) .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١ / ١٧٢) ح١٨٤ ، أبو عوانه في مسنده ، بيان الدليل على أن الشفاعة لمن قال (لا إله إلا الله وكان في قلبه شيء من الخير) (١ / ١٨٥) ـ دار المعرفة ـ بيروت .

(٣) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١ / ١٧ ، ١٨) ح ٤٤ ، وكتاب التوحيد (٩ / ١٤٩ ، ١٥٠) ح ٧٤١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٨٢) ح١٩٣ ، واللفظ للبخاري .

وآيات التخليد كلها في الكفار وما ورد منها في أهل الإسلام ، فالمراد به أن ذلك جزاؤه ، وإذا أراد الله تعالى أن يعفو عن جزائه فَعَل ، والعفو عمّا ورد به الوعيد لا يكون خُلفاً » (١) .

وقال ـ رحمه الله ـ : « وفي تخليد المؤمن مع الكفار في النار تضييع ما أحسن من الإيمان بالله وكتبه ورسله ،وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] » (٢) .

وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائراً أئمة المسلمين ، بأن عصاة الموحدين الذين استحقوا دخولَ النار جزاء بعض المعاصي التي ارتكبوها أنهم يخرجون منها ولا يخلدون فيها وأن نبينا محمد ـ ﷺ ـ يشفع فيهم يوم القيامة ، ولم ينكر ذلك إلا أهل البدع .

ومن أقوال بعض أئمة المسلمين في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر الموحدين ، ما يلي :

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « ... إن شفاعة النبي ـ ﷺ ـ التي ذكرت أنها لأهل الكبائر ، ... ، وأنها لمن قد أدخل النار ، من غير أهل النار والذين هم أهلها أهل الخلود فيها ، بل لقوم من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوباً وخطايا فأُدخلوا النّار لتصيبهم سفعاً منها » (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « ثم اتفق أهل السُّنَّة والجماعة أنه ـ ﷺ ـ يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد » (٤) .

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : عند كلامه عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الشفاعة : « ويقرون بشفاعة رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته » (٥) .

---

(١) كتاب البعث والنشور / للحافظ البيهقي - تحقيق الشيخ / عامر احمد حيدر (ص٧٥) .
(٢) المصدر السابق ص٦٥ .
(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٦٥٩) .
(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٨) .
(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤٧) .

وقال الإمام الباقلاني[١] **- رحمه الله -** : « ومما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل الملة ما ورد من الأخبار الثابتة المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول - ﷺ - في أهل الكبائر »[٢] .

وقال أبو عمرو الداني[٣] **- رحمه الله -** : « ويخرج بشفاعة رسول الله - ﷺ - من النار قوم بعدما امتحشوا فيها وصاروا حمماً ، ويدخلون الجنة ويغسلون في ماء الحياة فتنبت لحومهم كما تنبت الحبة في حميل السيل ، على ما أتت به الأخبار الصحيحة عن الرسول - ﷺ - ، ..... فلا يديم الله تبارك وتعالى عذابه إلاّ على الكافرين ، ولا يخلد في ناره إلا الجاحدين ، على ما أخبر به في قوله ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف ٨٧] »[٤] .

وقال الإمام الجويني - رحمه الله - : عند كلامه على الشفاعة « ثمّ هي مصرحة بالتشفيع في أهل الكبائر ، إذ قال رسول الله - ﷺ - : " **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** "[٥] . فإن الأخبار المأثورة شاهدة بتعلق الشفاعة بأصحاب الكبائر »[٦] .

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقلاني ، المالكي ، الاصولي ، المتكلم على طريقة الأشاعرة ، لكنه كان يثبت كثيراً من الصفات الخبرية التي نفاها متأخرو الأشاعرة ، وقد لقي تلاميذ أبي الحسن الأشعري ، كان جيد الاستنباط سريع الجواب ، ولد سنة ٣٣٨هـ في البصرة ، له مصنفات كثيرة ، منها : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في العقيدة ، إعجاز القرآن ، الإنصاف " وغيرها ، توفي في بغداد سنة ٤٠٣هـ . انظر : تبيين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢١٧ وما بعدها) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٧ / ١٩٠ وما بعدها) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٦٩ ، ٢٧٠) برقم / ٦٠٨ ، الأعلام / للزركلي (٦ / ١٧٦) .

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ـ تحقيق / عماد الدين حيدر (ص٤١٥ - ٤١٦) .

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي الداني ، محدث مكثر ، ومقرئ متقدم ، وإليه المنتهى في علم القراءات ، وهو إمام في علوم القرآن ، ولد سنة (٣٧١) ، من أهل دانية بالأندلس ، له مصنفات كثيرة ، منها : ((الرسالة الوافية لمذهب أهل السُّنَّة في الاعتقادات وأصول الديانات)) وغيرها ، توفي سنة (٤٤٤هـ) في بلده . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ١٨ / ٧٧ - ٨٣) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٣ / ٢٧٢) المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي ٤ / ٢٠٦) .

(٤) الرسالة الوافية لمذهب أهل السُّنَّة في الاعتقاد وأصول الديانات (ص١١٢) .

(٥) سبق تخريج الحديث ص ٢١٩ .

(٦) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٣٠ - ٣٣١) ، وشرح المقاصد / للإمام التفتازاني ـ تحقيق / عبد الرحمن عميره (٥ / ١٥٧) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط / ١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) .

وقال الإمام ابن حزم[١] **- رحمه الله -** : عند ذكره لأنواع الشفاعة : « والشفاعة الثانية في إخراج أهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر »[٢] .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « واجمع أهل السُّنَّة على أنه لا يبقى في النار مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد »[٣] .

وقال الإمام الصابوني - رحمه الله - : « ويؤمن أهل الدين والسُّنة بشفاعة الرسول - ﷺ - لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله - ﷺ - »[٤] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : « والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي - ﷺ - »[٥] .

وقال الإمام الطحاوي - رحمه الله - : « وأهل الكبائر من أمة محمد - ﷺ - في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين.

وهم في مشيئته وحُكمه ، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر - عز وجل - في كتابه ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته »[٦] .

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن يزيد الفارسي الأصل ، الفقيه ، الحافظ ، المتكلم ، الوزير الظاهري ، صاحب التصانيف ، منها (المحلّى - في الفقه ، الفصل في الملل والأهوال والنحل) وغيرها ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ، وتوفي في بادية لَبْلة (من بلاد الأندلس) سنة ٤٥٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٨ / ١٨٤ ومابعدها) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (٣/١١٤٦ - ١١٥٤) ، الأعلام / للزركلي (٤/٢٥٤) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١١٣) .

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٠٧) .

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٧٦) .

(٥) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٤) .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق : الألباني (ص٣٦٩) .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في عصاة الموحدين من أهل الكبائر:

« هؤلاء هم القسم الذين جاءت فيهم الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله - ﷺ - فإنهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار أعمالهم ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ويلبثون فيها على قدر أعمالهم ثمَ يخرجون منها ، فينبتون على أنهار الجنة ، فيفيض عليهم أهل الجنة بالماء حتى تنبت أجسادهم ، ثم يدخلون الجنة ، وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعة الشافعين ، وهم الذين يأمر الله سيد الشفعاء مراراً أن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان » (١) .

وقال ابن المرتضى - رحمه الله - : « وأحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع ، وهي قاطعة في ألفاظها » (٢) .

وقال ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله - عند ذكره لأنواع الشفاعة: « شفاعته - ﷺ - في قوم من العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم » (٣) .

وقال الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - : « فهذه الشفاعة حقٌ يؤمن بها أهل السُّنَّة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٤) .

فلما تقدم يتضح جلياً ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر ، فمن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن أهل الكبائر قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم على حسناتهم فيدخلون النار بقدر ذنوبهم، ثم يأذن الله بالشفاعة فيهم لنبينا محمد - ﷺ - ولغيره من الأنبياء والملائكة والشهداء والأولياء والصالحين ومن شاء الله أن يكرمه بذلك .

---

(١) طريق الهجرتين (ص٥٦٨ - ٥٦٩) .
(٢) إيثار الحق على الخلق (ص٣٩٥) .
(٣) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة (ص٤٤٥) .
(٤) معارج القبول (٢ / ٨٩٦) .

ولكن نقول بعد ثبوت شفاعة النبي ـ ﷺ ـ للمذنبين من أمته ، أنه لا يسوغ لمسلم عاقل أن يرتكب المحرمات والمنهيات عنها اتكالاً على هذه الشفاعة ، فإن المسلم مطالب بأن يجدّ ويجتهد في العبادة والعمل حتى يرزقه الله ـ عز وجل ـ الوفاة على كلمة التوحيد فيكون من أهل شفاعته ـ ﷺ ـ، فإن أحدنا لا يدري ما يختم له في هذه الحياة .

المطلب الثاني
الكبائر المأذون بالشفاعة فيها

الكبائر المأذون بالشفاعة فيها هي ما دون الشرك بالله عزوجل ، فدعوات الأنبياء ليست مستجابة كلها،فالله ـ عز وجل ـ لم يستجب دعوة النبي ـ ﷺ ـ في عبد الله[١] ابن أُبي بن سلول وأصحابه ، حتى قال الله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] .

وكذلك أن النبي ـ ﷺ ـ سأل ربه أن يستغفر لأمه فمنعه ذلك،ولما أراد نوح ـ عليه السلام ـ أن يستغفر لابنه قال الله تعالى له: ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود:٤٦] لانه تلبس بالشرك ، وهذا إبراهيم عليه السلام لم تنفع شفاعته في أبيه لأنه مشرك .

فمن مات مسلماً موحداً ولم يكن مشركاً وهو من أهل الكبائر فهو المقصود بالشفاعة كما وردت في ذلك الأدلة الواضحة الصريحة في إخراج الموحدين من النار بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين .

فهو سبحانه يختار الشفعاء من الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين ، ولا يشفعون إلاّ في أهل التوحيد والإخلاص، فالله لا يرضى المعاصي أو الشرك أو الكفر ، فالمشركون لا تنفعهم شفاعة الشافعين وإن شفعوا لهم ، بينما أهل المعاصي دون الشرك يأذن بالشفاعة لأهلها ، وذلك من حكمته سبحانه .

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ ، قال: « في النار » ، فلمّا قفّى دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار »[٢] .

---

(١) عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في عهد الرسول ﷺ ، قضى حياته في الكيد للمسلمين ، ولما توفي في شوال سنة ٩هـ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يعطي أباه ثوبه ليكفن فيه ، فأعطاه الرسول ﷺ ثوبه ونفث فيه من ريقه ، وصلى عليه ، فأنكر ذلك عمر رضي الله عنه ، فقال له الرسول ﷺ : إني بين خيرتين ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [التوبة : ٨٤] انظر : البداية والنهاية / لابن كثير (٥ / ٣١) المجلد الثالث .

(٢) رواه مسلم :كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (١ / ١٩١) ح ٢٠٣ ، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٩ – ٢٦٨) ، وغيرهما .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أتاني آتٍ من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يُشرك بالله شيئاً»(١).

فتبين بهذا الحديث وغيره أن الكبائر المأذون بالشفاعة فيها هي ما دون الشرك بالله عز وجل .

فالمشرك بالله عز وجل لا تقبل فيه شفاعة وذلك لموته وهو لم يتب من شركه، وذلك لنقضه التوحيد الخالص بالشرك ،وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي ، والدليل على الشرك الأكبر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (١١٦) ﴾ .

[النساء : ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] ، فمن الشرك بالله عز وجل المانع من الشفاعة يوم القيامة :

الأول : شرك الدعوة،والدليل على ذلك قول الله تعالى :﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) ﴾[العنكبوت : ٦٥] .

الثاني : شرك النية والإرادة والقصد ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ .

[هود : ١٥-١٦] .

---

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٣منه (٤ / ٥٤٢) من حديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ ، وابن ماجه : كتاب الزهد ـ باب ذكر الشفاعة(٢ / ١٤٤١)ح٤٣١١ ، واحمد في مسنده (٢/ ٧٥) ، (٤/ ٤٠٤- ٤١٥) ، (٥/ ٢٣٢) ، (٦/ ٢٣-٢٨-٢٩) ، ومشكاة المصابيح (٣/ ١٥٥٨)ح ٥٦٠٠ . والحديث : صحيح : انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني ـ رحمه الله ـ برقم / ٥٦ .

الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قول الله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)** ﴾ [التوبة : ٣١] .

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه هو : طاعة العلماء والعُبّاد في المعصية لا دعاؤهم إياهم ، كما فسرها النبي ـ ﷺ ـ : لعدي[١] بن حاتم لما سأله ، قال : « لسنا نعبدهم ، فذكر أن عبادتهم طاعتهم في المعصية »[٢] .

الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

فالشرك بالله عز وجل لا تقبل فيه الشفاعة وإن طُلِبَتْ فلا قبول لها لوجود المانع ، فتعتبر شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها ، وهي مثل ما يدعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله ـ عز وجل ـ فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى : ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)** ﴾ [المدثر :٤٨] ، وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ... ﴿ **وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** ﴾ [يونس : ١٨] تعلق باطل غير نافع ، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعداً .

فالمشرك لا ينتفع في الآخرة بعمله كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

---

(١) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج الطائي أبو طريف ، صحابي شهير كان ممن ثبت على الإسلام في الردة ، وحضر فتوح العراق وحروب عليّ وهو ابن ١٢٠ سنة وقيل ٨٠ سنة ، مات سنة ٦٨هـ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ١٦٢ وما بعدها) ، تقريب والتهذيب (١/ ٦٦٨) برقم (٤٥٥٦) .

(٢) رواه الترمذي : كتاب تفسير القرآن ، باب ١٠ ومن سورة التوبة (٥/ ٢٥٩-٢٦٠) ح ٣٠٩٥ ، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٦) ، وحسنه الألباني : في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٢٠) .

فالكفر والشرك يخلد صاحبه في النار ويحبط عمله ولا يكون له يوم القيامة شفيع ولا مغيث ، قال الله تعالى :﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣] ، وعن عائشة رضي الله عنها ـ قالت : قُلتْ يا رسول الله : ابن جُدْعَان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال ـ ﷺ ـ: «**لا ينفعه إنّه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**» (١) . « فالكفر المطلق لا شفيع لأهله يوم القيامة » (٢) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل » (٣) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « ومن وفقه الله تعالى لفهم هذا الموضع ومعرفته ، تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » (٤) .

وقد علّمنا النبي ـ ﷺ ـ إذا أردنا الفوز بشفاعته أن نسأل الله له الوسيلة لا أن نسأل من دون الله .

قال ـ ﷺ ـ : « **سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة** » (٥) .

فمن سلك طريقاً يصل بها إلى الشرك فلا تقبل فيه شفاعة ولا ينفعه أحدٌ لا نبي مرسل ولا قريب صالح .

---

(١) رواه مسلم (سبق تخريج الحديث ص ١٥٠) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيميه (٧ / ٧٤) .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (ج١ / ٢١٣) المجلد الأول .

(٤) الضوء المنير على التفسير/لابن القيم(٢ / ٢١٨)مؤسسة النور للطباعة، ودار السلام- الرياض- السعودية- ط بدون.

(٥) سبق تخريج الحديث ، ص ٤٠ وهو برقم ٣٨٤ في مسلم .

الفصل الثالث

شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيـــد :

المبحث الأول : شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة من (الملائكة .. وغيرهم) .

المبحث الثاني : شفاعة الأعمال الصالحة للعبد .

المبحث الثالث : شفاعة أرحم الراحمين .

الفصل الثالث

شفاعة غير الرسول - ﷺ - للأمة

تمهيد :

من فضل الله ـ عز وجل ـ على عباده أنه لم يقصر الشفاعة على شخص واحد من الأنبياء أو غيرهم وإنما جعل شفعاء يشفعون ويتوسطون للأمة بالمغفرة والرحمة ، فعلى المؤمن اعتقاد شفاعة الشفعاء ممن دلت الأدلة الشرعية على شفاعته يوم القيامة، وأن الشفاعة لا تختص بالنبي ـ ﷺ ـ فقط إلا فيما اختصه الله به تفضيلاً وإكراماً وإجلالاً له ﷺ .

قال الإمام السفاريني - رحمه الله -: « يجب أن يعتقد أن غير النبي ـ ﷺ ـ من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصدّيقين والأولياء، على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون ، وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون ، لثبوت الأخبار بذلك ، وترادف الآثار على ذلك ، وهو أمر جائز غير مستحيل ، فيجب تصديقه ، والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال ـ ﷺ ـ : « **أنا أول شافع وأول مشفع** »[1] »[2] .

وقال الإمام الآجري - رحمه الله -: « إن أهل الكفر لما دخلوا النار ورأوا العذاب الأليم ، وأصابهم الهوان الشديد ، نظروا إلى قوم هم من الموحدين معهم في النار ، فعيروهم بذلك وقالوا : ما أغنى عنكم إسلامكم في الدنيا وأنتم معنا في النار ؟ فزاد أهل التوحيد من المسلمين حزناً وغماً ، فاطلع الله ـ عز وجل ـ على ما نالهم من الغم بتعيير أهل الكفر لهم ، فأذن في الشفاعة فيشفع الأنبياء والملائكة والشهداء

---

(١) سبق تخريج الحديث ٨٥ .

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٠٩) .

والعلماء والمؤمنون فيمن دخل النار من المسلمين ، فأخرجوا منها على حسب ما أخبرنا رسول الله ـ ﷺ ـ على طبقات شتى، فدخلوا الجنة ، فلما فقدهم أهل الكفر ودُّوا أن لو كانوا مسلمين ، وأيقنوا أن ليس لهم شافع يشفع لهم ، ولا صديق حميم يغني عنهم من عذاب الله شيئاً ، . . .وعلموا أن الشفاعة لغيرهم قالوا: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف: ٥٣]»[١] .

ويلاحظ أن آيات الشفاعة في القرآن الكريم قد ورد بعضها بصيغة الجمع منطوقاً ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر :٤٨] ، أو مفهوماً كقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥][٢] .

فهذه الأدلة تدل على أن غيره ﷺ سُيعطى الشفاعة سواء كان نبياً أو مَلكاً أو شهيداً أو صدِّيقاً أو عملاً صالحاً أو ما يدخره ربنا عز وجل لنفسه ليخرج من يشاء من عباده من النار برحمته الواسعة .

فلهذا ما يأتي من مباحث يختص ببيان أنواع هؤلاء الشفعاء على ضوء الأدلة الشرعية ، فهي عبارة عن تكريم للشافع من الله ، والرحمة للمشفوع فيه ممن يعلم الله أنهم من أهل الرحمة ومن أهل التقوى .

---

(١) كتاب الشريعة ، للإمام الآجري (ص٢٩٩) .

(٢) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (ص١٢٤) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

المبحث الأول

شفاعة غير الرسول - ﷺ - للأمة

(من الملائكة .. وغيرهم)

أولاً : شفاعة الملائكة :

والدليل على هذه الشفاعة قول الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم : ٢٦] ، فلهم شفاعة بعد الإذن والرضى ، والدليل من السُّنَّة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسول الله ـ ﷺ ـ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ ،وهو حديث طويل وفيه :« .. **فيقول الله ـ عز وجل ـ شفعت الملائكة ... ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين ..** »[١] .

ثانياً : شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

والدليل على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق وفيه، فيقول الله تعالى : « **شفعت الملائكة وشفع النبيون..** » .

وفي لفظ البخاري : « **فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبّار بقيت شفاعتي ...** »[٢] .

ثالثاً : شفاعة الشهداء :

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقدام[٣] بن معد يكرب

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٩/١٥٩-١٦٠) ح٧٤٣٩، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١/١٧٠) ح١٨٣ ، واللفظ لمسلم .

(٢) المصدران السابقان (سبق تخريج الحديث صـ ٨٧) .

(٣) المقدام بن معد يكرب بن عمرو الكندي ، أبو كريمة وقيل أبو يحيى صحابي مشهور ، هو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من كِنْدَةَ ، نزل الشام ومات بها سنة (٨٧هـ) على الصحيح وله (٩١سنة) . انظر: أسد الغابة / لابن الأثير (٥/٢٦٨) برقم ٥٠٧٠ تقريب التهذيب / لابن حجر (٢ / ٢٠١٠) برقم / ٦٨٩٥ .

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **للشهيد عند الله ست خصال : يُغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويُزوَّج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفَّع في سبعين من أقاربه** » ... وفي لفظ « **في سبعين إنساناً من أقاربه** » (١) .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته** » (٢) ، وعن عثمان(٣) بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **يشفع يوم القيامة ثلاثةٌ : الأنبياء ثُمّ العلماء ثُمّ الشهداءُ** » (٤) .

رابعاً : شفاعة المؤمنين :

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري

---

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب فضائل الجهاد ، باب في ثواب الشهيد (٤ / ١٦١) ح١٦٦٣، وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ ، واللفظ له ، وابن ماجه في سننه : كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢ / ٩٣٦)ح٢٧٩٩ ،- والإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٣١) - والآجري في كتاب الشريعة، باب ذكر شفاعة العلماء والشهداء يوم القيامة بلفظ (للشهيد عند الله عز وجل تسع خصال ..) (ص٣١٢)،- والحديث صحيح: انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني - رحمه الله - برقم / ٥١٨٢ ،مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني (٢ / ١١٢٧) ح / ٣٨٣٤ وقال الألباني : إسناده صحيح .

(٢) رواه أبو داود في سننه : كتاب الجهاد ، باب في الشهيد يشفع (٣ / ٣٤) ح٢٥٢٢ ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، - والآجري في كتاب الشريعة ، باب ذكر شفاعة العلماء والشهداء يوم القيامة (ص٣١٢) ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رحمه الله برقم / ٨٠٩٣ .

(٣) عثمان بن عفان أمير المؤمنين ذو النورين ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، جمع الناس على مصحف واحد ، كان ينفق ماله في سبيل الله ، ثالث الخلفاء الراشدين ، استشهد سنة ٣٥هـ ، وعمره ٨٢ سنة ، انظر : أسد الغابة (٣ / ٦٠٦-٦١٨) ترجمة رقم / ٣٥٨٣ ، تذكرة الحفاظ (١ / ٨ ، ٩) ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (١٦٥ - ١٨٤) ، تقريب التهذيب(١ /٦٦٣) رقم ٤٥١٩ ، مشاهير علماء الأمصار (ص٥) .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٣) ح ٤٣١٣ ، - والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٢٦٥) ح ١٧٠٧ ، وكنز العمال (١٤ / ٤٠١)ح ٣٩٠٧٢، وضعفه الشيخ مقبل الوادعي ، لأن في سنده علاق بن أبي مسلم وغيره . انظر : الشفاعة (ص١٧٨) .

وفيه : « ... حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله ، في استقصاء الحق ، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربَّنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم . فتُحرِّمُ صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النارُ إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ، ثمّ يقولون : ربَّنا ما بقي فيها أحدٌ ممّن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه دينار من خيرٍ فأخرجوه . فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربّنا لم نذر فيها أحداً ممّن أمرتنا ، ثمّ يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثمّ يقولون : ربَّنا لم نذر فيها ممَّن أمرتنا أحداً، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثمّ يقولون : ربّنا لم نذر فيه خيراً » .

وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدّقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلاّ أرحم الراحمين» ، وفي لفظ : « .. فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون.. »[1] .

فالمؤمنون يوم القيامة يناشدون الله عز وجل في العفو والمغفرة لإخوانهم المسلمين أهل الذنوب والمعاصي فيشفعهم الله فيهم ويقبل مناشدتهم له في ذلك.

ومما يمكن الاستدلال به أيضاً على هذه الشفاعة ما يأتي :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن مِنْ أمتي من يشفع للفئام[2] من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعُصبة ،

---

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٩/ ١٥٩-١٦٠) ح٧٤٣٩، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٧٠) ح١٨٣ ، واللفظ لمسلم .

(٢) الفئام : الجماعة الكثيرة ، انظر : النهاية في غريب الحديث والآثر (٣/ ٤٠٦) .

ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخُلوا الجنة »[١] .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر ، أو مثل أحدا لحيّين ربيعة ومضر .. »[٢] .

وقال ـ ﷺ ـ : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم » ، قالوا : يارسول الله سواك ؟ ، قال « سواي »[٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل للرجل »[٤] .

فهذه الأدلة تبين شفاعة المؤمنين لإخوانهم العصاة من أهل النار وذلك تفضلاً من الله ـ عز وجل ـ لعباده المؤمنين أن أكرمهم وأعطاهم ذلك فكلما كان المؤمن أكثر تُقى وإيمانًا كان أحق بالشفاعة لإخوانه المؤمنين ، عكس من كان معرضًا عن أوامر الله

---

(١) رواه الترمذي في سُننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢ منه (٤ / ٥٤١) ح ٢٤٤٠ ، وقال : هذا حديث حسن ، وأحمد في مسنده (٣ / ٢٠-٦٣) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢ / ٦٣٦) ، مشكاة المصابيح (٣ / ١٥٥٨) ح٥٦٠٢ ، وقال الألباني : إسناده ضعيف ، وحسنه الوادعي . انظر : الشفاعة (ص١٦٨) ، وذكر الهيثمي نحو هذا وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح : (وإن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة ...) . انظر : مجمع الزوائد (٢٠ / ٣٨٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٧ - ٢٦١ - ٢٦٧) ، وقال المنذري : رواه أحمد بإسناد جيد ، انظر الترغيب والترهيب (٤ / ٤٤٥) فصل في الشفاعة وغيرها . من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، - ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨ / ١٤٣) ح ٧٦٣٨ ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، - والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ رحمه الله ـ برقم / ٥٣٦٣ ، وقال الشيخ مقبل الوادعي (ثابت الحديث ، انظر : الشفاعة (ص١٧١) .

(٣) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢منه (٤ / ٥٤١) ح ٢٤٣٨ ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ . من حديث عبد الله ابن أبي الجدعاء رضي الله عنه ، وابن ماجة في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٤) ح٤٣١٦ ، والإمام أحمد في مسنده (٣ / ٤٧١) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢ / ٧٤١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ٧٦) ح ١٨٨ ، والحاكم في المستدرك (١ / ١٤٢) ح٢٣٧ ، وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ رحمه الله ـ برقم / ٥٣٦٤ .

(٤) روه أحمد في مسنده (١ / ٢٠) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢ / ٧٤٥) ، وقال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) .

تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ وارتكب ذنباً كبيراً فإنه يحرم من ذلك وقد ورد بيان ذلك في السُّنَّة المطهرة من حديث أبي الدرداء[١] رضي الله عنه أن النبي ـ ﷺ ـ قال: « **إن اللعّانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة** »[٢] .

فمن كانت هذه صفته وأخلاقه فيُحرمه الله ـ عز وجل ـ أن يكون من الشفعاء لإخوانه المسلمين يوم القيامة ، وذلك حين يشفعون في إخوانهم الذين استوجبوا النار .

خامساً : شفاعة الأبناء للآباء :

ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « **صغارهم دعاميص**[٣] **الجنَّة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه ، أو قال بيده ، كما آخُذُ أنا بِصَنِفَة**[٤] **ثوبك هذا ، فلا يتناهى**[٥] **أو قال فلا ينتهي حتى يُدخله الله وأباه الجنّة** »[٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتت امرأةٌ النبي ـ ﷺ ـ بصبي لها، فقالت: يا نبي الله ادع الله له ، فلقد دفنت ثلاثةً ، قال ـ ﷺ ـ : (**دفنت ثلاثةً**)؟ ، قالت : نعم .

---

(١) هو الصحابي الجليل : عويمر بن مالك بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري ـ أبو الدرداء ـ آخى الرسول ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، وشهد ما بعد أحد من المشاهد مع رسول الله ، واختلف في شهوده أحد ، ولي قضاء دمشق في عهد عثمان بن عفان ، وتوفي بها سنة ٣٢هـ ، انظر : طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩١ - ٣٩٣) ، أسد الغابة (٦/ ١٠٤-١٠٥) ترجمة رقم ٥٨٥٨ ، الإصابة (٣/ ٤٥-٤٦) ، ترجمة رقم /٦١١٧، تقريب التهذيب (١/ ٧٦١) رقم /٥٢٤٤ .

(٢) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤/ ٢٠٠٦)ح ٢٥٩٨ ، وأحمد في مسنده ٦/ ٤٤٨) . وغيرهما .

(٣) دعاميص : واحد دعموص أي صغار أهلها .واصل الدعموص دويبةٌ تكون في الماء لا تفارقه ، أي ان هذا الصغير في الجنَّة لا يفارقها . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٨٢) المجلد السادس ، والنهاية في غريب الحديث والاثر (٢ / ١٢٠) .

(٤) بصنفة : وهو طرفه ممّا يلي طُرَّته . النهاية من غريب الحديث والآثر (٣/ ٥٦).

(٥) لا يتناهى : أي لا يتركه . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٨٢) المجلد السادس .

(٦) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٤/ ٢٠٢٩) ح ٢٦٣٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ـ وأحمد في مسنده (٢ / ٤٨٨ ، ٥١٠) وغيرهما ..

قال ـ ﷺ ـ : « لقد احتظرت[١] بحظارٍ شديدٍ من النار »[٢] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وإياهم بفضل رحمته الجنّة ، وقال : يقال لهم : ادخلوا الجنة ، قال : فيقولون : حتى يجيء أبوانا ، قال ثلاث مرات ، فيقولون : مثل ذلك ، فيقال لهم : ادخلوا الجنّة أنتم وأبواكم »[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول ـ ﷺ ـ: « إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول : أنى لي هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك. »[٤] .

وهذه الشفاعة الثابتة بهذه الأدلة تُظهر أيضاً مكانة الوالدين وعظمهما عند الله ـ عز وجل ـ وكذلك أفضلية الصبر عند المصيبة وفقد الأولاد وأنه يظهر أثرهما عند الله ـ عز وجل ـ في ذلك اليوم الشديد ، الذي يحتاج العبد المسلم فيه إلى من يغيثه ويعينه على مصيبته ، فيسخّر الله ـ عز وجل ـ الأولاد لآبائهم ليكونوا لهم شفعاء عنده ـ عز وجل ـ فينتفعوا بهم والحمد لله .

---

(١) احتظرت : أي امتنعت بمانع وثيق . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٨٣) المجلد السادس ، وقال ابن الأثير : أراد لقد احتميتي بحمى عظيم من النار ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٤٠٤) .

(٢) مسلم : كتاب البر واصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد .. (٤ / ٢٠٣٠) ح ٢٦٣٦ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٤١٩) وغيرهما .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٥١٠) واللفظ له ، والنسائي : كتاب الجنائز ، باب ثواب من يتوفى له ثلاثةٌ من الولد (١ / ٦١٥) ح ٢٠٠٤ دار الكتب العلمية ، والبيهقي في السنن الكبرى : كتاب الجنائز ، باب ما يرجى في المصيبة بالأولاد إذا احتسبهم (٤ / ٦٨) . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح خلا يزيد بن أبي بكرة ولم أجد من ترجمه . انظر :مجمع الزوائد (٣ / ٧ ، ٨) ، والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني برقم/ ٥٧٨٠، وانظر كتاب الشفاعة للشيخ مقبل الوادعي (ص٢٠٢) قال ـ رحمه الله ـ : الحديث رواه النسائي والبيهقي وهو على شرط الشيخين .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢ / ٥٠٩) ، وابن ماجه ـ كتاب الأدب ، باب بر الوالدين (٢ / ١٢٠٧) ح ٣٦٦٠ ، وقال صاحب الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، ومشكاة المصابيح (٢ / ٧٢٧) ح٢٣٥٤ . والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ـ برقم / ١٦١٧ .

المبحث الثاني

شفاعة الأعمال الصالحة للعبد

أولاً : شفاعة القرآن (أي أجر العمل به) :

مما يدل على شفاعة القرآن يوم القيامة ورد في حديث النبي ـ ﷺ ـ قوله : **«اقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتا ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرؤا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة »** [١] أي السحرة .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : « فقوله : (تحاجان عن أصحابهما) أي يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما ملائكة ..... وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين ، فيشفعان له ، وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحة ، كما ذكره ابن المبارك[٢] في دقائقه : أخبرنا رجل عن زيد[٣] بن أسلم قال : بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة وأحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء أمّنه وكلما تخوف شيئاً

---

(١) رواه مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١ / ٥٥٣) ح٨٠٤ وأحمد في مسنده (٥ / ٢٤٩) من حديث أبي أمامة الباهلي ، والبيهقي في الكبرى : كتاب الصلاة ، باب المعاهدة على قراءة القرآن (٢ / ٣٩٥) .

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ، الإمام الحافظ . جمع بين العلم والجهاد والتجارة ، كان ينفق بسخاء ، له تصانيف كثيرة وقد أكثر من الترحال في طلب العلم والجهاد . ولد سنة ١١٨هـ ، وتوفي سنة ١٨١هـ ، ويقال إن الرشيد لما بلغه موته قال : مات سيد العلماء ، من مؤلفاته : الزهد ، والجهاد و غير ذلك . انظر : حلية الأولياء / لأبي نعيم (٨ / ١٦٢) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان (٣ / ٣٢) سير أعلام النبلاء / للذهبي (٨ / ٣٧٨) وما بعدها ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج١ / ٢٩٥) المجلد الأول .

(٣) هو زيد بن أسلم العدوى ـ أبو عبد الله ـ أبوه مولى عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : ((ثقة عالم كان يرسل، من الثالثة)) توفي سنة ١٣٦ هـ، انظر: تقريب التهذيب ١ / ٣٢٦) ترجمة رقم ٢١٢٣، سير أعلام النبلاء (٥ / ٣١٦) .

هوّن عليه ، فيقول : جزاك الله من صاحب خيراً . من أنت ؟ .

فيقول : أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك ، أنا عملك كان والله حسناً . فلذلك تراني حسناً وكان طيباً فلذلك تراني طيباً .

يقال فاركبني فطال ما ركبتك في الدنيا وهو قوله تعالى : ﴿ **وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ** ﴾ [الزمر : ٦١] حتى يأتي به إلى ربه ـ عز وجل ـ فيقول يارب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله ، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصحاب في تجارته ، غير صاحبي هذا قد شغل في نفسه فيقول الله تعالى : فما تسأل ؟ فيقول المغفرة والرحمة أو نحو هذا ، فيقول : فإني قد غفرت له .. » [١] .

وجاء في بعض السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يُغفر له** : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ [تبارك] [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **اقراءوا القرآن فإنه نعم الشفيع يوم القيامة ..** » [٣] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **يجيء القرآن يشفع لصاحبه ،يقول :يارب لكل عامل عمالة من عمله وإني كنت أمنعه للذة والنوم، فأكرمه، فيقال : أبسط يمينك ، فيملأ من رضوان الله ، ثم يقال :ابسط شمالك فيملأ من رضوان الله ، ويكسى كسوة الكرامة ، ويحلى حلية الكرامة ، ويلبس تاج الكرامة** » [٤] .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٤٠٨) .

(٢) رواه أبو داود في سُننه : كتاب الصلاة ، باب في عدد الآي (٢ / ١١٩) ح ١٤٠٠ ، والترمذي في سُننه: كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الملك (٥ / ١٥١)ح٢٨٩١ ، وقال: حديث حسن، وابن ماجه في سُننه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن(٢ / ١٢٤٤)ح٣٧٨٦ ،والحديث حسن ، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم / ٣٦٤٤ ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي . انظر: الشفاعة : (ص٢٠٩) .

(٣) رواه الدرامي في سُننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٢ / ٣٠٩) ح٣٣١٤ ، واللفظ له واحمد في مُسنده (٥ / ٢٤٩ – ٥٥ – ٢٥٧)، وصححه الشيخ مقبل، انظر : الشفاعة (ص٢١٨) .

(٤) رواه الدرامي في سُننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٢ / ٣٠٩) ح٣٣١٥ ، واللفظ له ، والترمذي : كتاب فضائل القرآن باب ١٨ (٥ / ١٦٣) ح ٢٩١٥ ، وقال : هذا حديث حسن =

فالقرآن الكريم هو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى فقراءَته والعمل به يقتضي حصول العبد على الأجر والثواب ، فيعتبر انقياد العبد لكلام الله سبحانه وتعالى باباً من أبواب إقامة القرآن حجيجاً لصاحبه (أي قارئة) وشفيعاً له عند الله ـ عز وجل ـ فعلى العبد المسلم أن يغنم قراءته وتدبُره وتطبيقه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ثانياً : الصيـــام :

ومما يدل على شفاعة الصيام يوم القيامة ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان** »[1] .

فثواب الصيام ينقلب ملكاً يشفع لصاحبه ، وقد ذكرنا فيما سبق أنه من أسباب الشفاعة للعبد المسلم عند الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة .

= صحيح ، وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن (٢ / ١٢٤٢) برقم / ٣٧٨١ ، وأحمد (٥ / ٣٥٢) ، والحاكم في مستدركه بنحو (١ / ٧٣٩) ح/ ٢٠٢٩ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ومجمع الزوائد (٧ / ١٦٠) ، والحديث حسن : انظر صحيح الجامع للألباني برقم (٨٠٣٠) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ١٧٤) ، ـ وقال الهيثمي : رواه أحمد وإسناده حسن على ضعف في ابن الهيعة وقد وثق ، مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٧٤٠) ح / ٢٠٣٦ ، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي. ـ وقال المنذري : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله يحتج بهم في الصحيح : انظر الترغيب والترهيب كتاب الصوم (٢ / ٨٤) ح ١٥ ، ـ والحديث صحيح : انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني ـ رحمه الله ـ (١ / ٤٨٣) برقم ٩٦٩ .

المبحث الثالث

شفاعة أرحم الراحمين

سبق وأن تكلمنا أن أصل الشفاعة كلها لله ـ عز وجل ـ ولكن يمنح غيره تفضلاً وإكراماً ، فقد وضع الإسلام المبدأ العام للشفاعة، فقرر أن العصاة المؤمنين يعاقبون في النار بمشيئة الله ثم يخرجون منها بشفاعة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وبشفاعة غيره كما أسلفنا ذكرها فيما سبق ، ثم يقرر أن من لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الإيمان فإنه يخرج من العذاب برحمة الله جل جلاله ، بل إن كثيراً من عصاة المؤمنين يُغفر لهم قبل إدخالهم النار إما بشفاعة الرسول ـ ﷺ ـ ، وإما برحمة الله ـ عز وجل ـ على عباده المسلمين ، فيخرج طائفة كبيرة من عصاة الموحدين لا يعلم عدتهم إلا هو وذلك برحمته لا بشفاعة الشافعين ، وقد جاء في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون , وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمةً ، يرحمُ بها عباده يوم القيامة** » (١) .

ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الحديث الطويل وفيه : « ..... **فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبّار بقيت شفاعتي فيقبض قبضةً من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنّة يقال له ماء الحياة . .** » (٢) .

وكما ورد في حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ـ ﷺ ـ :«**إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض . . . وفيه : فيقال لي : يا محمدّ ارفع رأسك وقل يُسمع لك ، وسل تُعط ، واشفع تشفّع ، فأقول ياربِّ**

---

(١) رواه مسلم : كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه(٤ / ٢١٠٨) ح٢٧٥٢ وابن ماجه :كتاب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ٢ / ١٤٣٥) ح ٤٢٩٣، وغيرهما .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ١٦٩ .

أئذن لي فيمن قال :لا إله إلا الله ، قال :ليس ذاك لك (أو قال ليس ذاك إليك) ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي[١] لأُجرجنّ من قال : لا إله إلا الله »[٢] ، فجعل هذه الشفاعة له إظهاراً لرحمته على عباده سبحانه وتعالى .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **إنّي لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجلٌ يخرج من النار حبواً**[٣] ، **فيقول الله تبارك وتعالى له ، اذهب فادخل الجنة ..**»[٤] .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله- : « وأن هذا الواحد يبقى بعدهم (أي أهل الجنة) بين الجنة والنار ثمّ يدخله الله بعد ذلك الجنة بفضله ورحمته ، لا بشفاعة أحد ، ويعطيه تفضلاً منه وكرماً وجوداً ، ماذكر في الخبر من الجنة »[٥] .

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله - : « ويخرج قوم من النار برحمة الله عز وجل مالبثوا فيها ما شاء الله عز وجل وقوم يخلدون فيها أبداً ، وهم أهل الشرك . .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته »[٧] .

والأدلة في رحمة الله وفضله على عباده كثيرة ، فرحمته سبقت غضبه سبحانه وتعالى .

---

(١) جبريائي : أي عظمتي وسلطاني وقهري . انظر النهاية في غريب الحديث ولا أثر(١ / ٢٣٥) .

(٢) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩ / ١٧٩-١٨٠) ح٧٥١٠ ، رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٤) ح ١٩٣ .

(٣) حبواً : قال أهل اللغة : الحبو المشي على اليدين والرجلين ، وربما قالوا : على اليدين والركبتين ، وربما قالوا : على يديه ومقعدته . صحيح مسلم بشرح النووي (ج٣ / ٣٩) المجلد الأول .

(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً (١ / ١٧٣، ١٧٤) ح١٨٦، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب صفة الجنة (٢ / ١٤٥٢) ح ٤٣٣٩ ، وغيرهما .

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٧٦٢) .

(٦) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢ / ٢١٤) .

(٧) العقيدة الواسطية لابن تيمية ، شرح ابن عثيمين (ص٤٠٦) ، مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٨) .